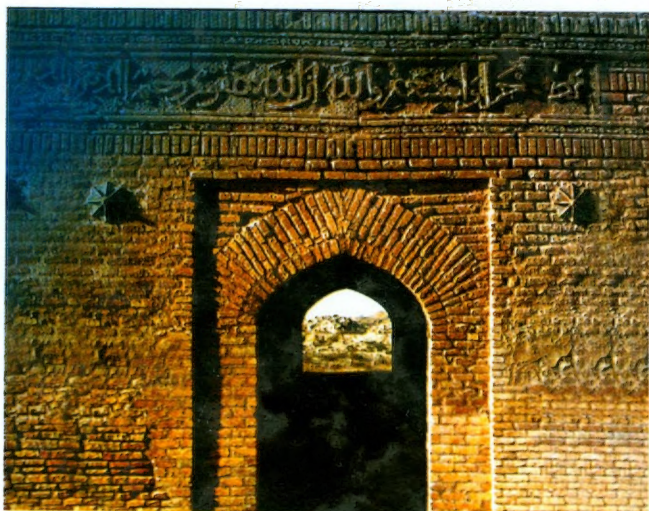


مَوْسُوْعَةُ التَّارِيْخِ الْإِسْلَامِيّ

العَصْرِ الْعَبَّاسِيّ

خالد عنزام



دار أسماء

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن عمان

رقم: ٥٦٥٨٢٥٣ - ٤٦٤٧٤٤٧ فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤

ص.ب: ١٤١٧٨١، الباص

حقوق الطبع محفوظة الناشر

٢٠٠٩ م

المقدمة

قامت الدولة العباسية على إثر دعاية واسعة النطاق، دامت حوالي ثلث قرن تقريباً، فضمت إلى صفوفها كل المعارضين للأمويين، وأول دعاية قامت في الدولة الإسلامية هي الدعاية العباسية. وقد تمكنت في النهاية من أن تؤدي الغرض المقصد منها هو إسقاط الدولة الأموية، وإقامة الدولة العباسية، أما تسميتها بالدعاية العباسية، فنسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ جدّ هذه الأسرة العباسية التي لعبت دوراً كبيراً في التاريخ العربي الإسلامي.

سلكت الخلافة العباسية نظام الوراثة في الحكم، وقد اعتمد العباسيون في تقوية مركزهم على قربتهم من الرسول ﷺ كما اعتمدوا على علماء الدين، من الفقهاء والتقاء حتى جعلوا التعاون معهم ركناً أساسياً في سياستهم ذات الصبغة الدينية.

وقد اختار العباسيون العراق مركزاً لخلافتهم لدوافع سياسية واقتصادية وحضارية، وبرزت بغداد عاصمة للخلافة العباسية، وأصبحت رمزاً لقوتها وحاضرة الدنيا وأعظم المدن العربية الإسلامية.

غير أن سياسة العباسيين مهدت الطريق للقوى الأجنبية للسيطرة على الدولة (الفرس، الترك، البويهيين، السلاجقة) فتغلغت في أجهزة الدولة وبسطت سيطرتها على الخلافة وعملت على إضعاف الدولة العربية الإسلامية وانهارها.

وفي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م احتل هولاكو بغداد وقتل الخليفة العباسي مع ولده الأكبر وبعض خاصته. وظهرت وحشية المغول في قتل الأهليين وتدمير

جوانب المدينة الحضارية، وبذلك سقطت الخلافة العباسية في بغداد بعد خمسمائة وأربع وعشرين سنة من التواصل الحضاري العربي الإسلامي الذي رقد الحضارة الإنسانية بوفر من العطاءات والإنجازات والقيم.

الباب الأول

الدعوة العباسية وقيام الخلافة العباسية
(١٢٨هـ - ١٧٠هـ / ٧٤٥م - ٧٨٦م)

الفصل الأول: التنظيمات السياسية السرية
العباسية (١٠٠هـ - ١٢٧هـ / ٧١٨م - ٧٤٤م)

الفصل الثاني: الثورة العباسية (١٢٨هـ -
١٣٢هـ / ٧٤٥م - ٧٤٩م)

الفصل الثالث: موقف الخلافة العباسية اتجاه
مناورات العناصر الفارسية في الدولة

الفصل الرابع: تثبيت سلطة الخلافة العباسية
والقضاء على المناوئين

الفصل الخامس: : بناء العاصمة بغداد

الفصل السادس: السياسة الخارجية

الدعوة العباسية وقيام الخلافة العباسية

(١٢٨هـ - ١٧٠هـ / ٧٤٥م - ٧٤٤م)

الفصل الأول: التنظيمات السياسية السرية العباسية (١٠٠هـ -

١٢٧هـ / ٧١٨م - ٧٤٤م)

كان من بين الحركات المعارضة للحكم الأموي، حركة أنصار آل البيت (بني هاشم)، وكانوا يرون أن بني هاشم هم أحق الناس بالخلافة، وقد عبروا عن معارضتهم للحكم الأموي، بعدة حركات وثورات، منها ثورة الحسين بن علي عليه السلام وحفيده زيد بن علي، وعبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب، ويلاحظ على هذه الحركات أنها كانت غير متفقة على زعامة واحدة، والذي يهمنا هو حركة الكيسانية (المختارية)، التي كانت تعتقد بزعامة محمد بن علي (ابن الحنفية) التي تفرعت إلى عدة فرق، وتميل هذه الحركة في مبادئها إلى الغلو والتطرف في الدين.

وبعد وفاة زعيمها محمد بن الحنفية تزعم الحركة ابنه أبو هاشم عبد الله، وبدأ يطلق على هذه الحركة (الهاشمية) أو (الهاشمية الخالصة) وكان أصحابه يعتقدون بأنه يحيي الموتى، وقد استطاع أبو هاشم أن ينظم أتباع ويتسلم منهم الخمس والهدايا، لكنه في الوقت نفسه استمر في زيارته للبلاط الأموي، وكان على علاقة طيبة بمحمد بن علي العباسي في الشام، وعند عودته من إحدى زيارته إلى الشام، وفي طريق عودته إلى الحجاز، أحس بمرض مفاجئ، مما اضطره إلى أن يعرج على منزل محمد بن علي العباسي في الحميمة (في الأردن حالياً)، ولتدهور حالته الصحية وإشرافه على الموت، اضطر إلى أن

يسلم زعامة الحركة السرية الهاشمية إلى محمد بن علي العباسي وبحضور مجموعة من أتباعه، وسلمه (الصحيفة الصفراء) التي فيها أسرار التنظيم، من أسماء الأتباع، وموعد الثورة، ومكانها، وفيها علم رايات خراسان السود، متى تكون، وكيف تكون، ومتى تقوم، ومتى زمنها وعلاماتها، وأي أحياء العرب أنصارهم، وأسماء رجال يقومون بذلك، وكيف صفتهم وصفة رجالهم وأتباعهم، وبذلك تحولت الحركة السرية الهاشمية إلى حركة عباسية خالصة بعد أن تزعمها محمد بن علي العباسي، الذي أصبح يلقب بـ(الإمام).

- التنظيم العباسي:

١- التنظيم السري في الكوفة:

يعد محمد بن علي العباسي قائد التنظيم السري العباسي، ومؤسسه الحقيقي، ويطلق عليه (الإمام)، وتذكر رواية تاريخية، أن التنظيم العباسي تأسس في بني مسلمة. وكان رئيسهم سلحة بن بجير، إلا أنه توفي في طريقه إلى الحجاز فتولى رئاسة التنظيم أبو رباح ميسرة النبال فأمرهم الإمام العباسي محمد بن علي بالذهاب إلى الكوفة، على أن يستروا أمرهم، وأن يكتموا اسمه، ولا يظهروه إلا لمن يتقوا به، وكانت دعوتهم إلى (الرضا من آل محمد) فإذا سئلوا عن اسمه قالوا: أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر، وكان من أوائل من انضم إلى هذا التنظيم: سلمة بن بجير، وسالم بن بجير (سالم الأعمى)، وأبو هاشم بكير بن ماهان، وحفص بن سليمان (أبو سلمة الخلال)، ومنهم زياد الهمداني، ومعن الهمداني، وأبو عمرو الأزدي وإبراهيم الهمداني.

وبعد وفاة أبي رباح النبال، تولى رئاسة التنظيم سالم بن بجير، وتولى أمر المراسلة بين الإمام العباسي في الحميمة وبين التنظيم في الكوفة أبو هاشم

بكير بن ماهان، حيث قام بزيارة الإمام العباسي وأعطاه بعض الأموال التي أرسلها التنظيم في الكوفة وفي حدود عام ١٠٠هـ/٧١٨م بدأ التنظيم يتخذ أسلوباً جديداً، حيث أخذ يبث مبادئه في خراسان، بعد أن زود من قبل الإمام العباسي بأوامر محددة هي:

- ١- أن يكسب الأتباع الثقة من أهل خراسان.
- ٢- أن يكون الشعار (للرضا من آل محمد).
- ٣- أن يندد بجور الأمويين.
- ٤- حذره من الانضمام إلى الثوار العلويين وأمرهم بالكف، ومن هنا سموا (الكفية).

٢- التنظيم السري في خراسان:

تألف أول تنظيم سري عباسي في خراسان من: يزيد بن الهنيد، وأبي عبيده بن السري المسلمي، وسليمان بن كثير الخزاعي، وبعد شهرين، انضم إليه مالك بن الهيثم الخزاعي وعمرو ابن أعين، وزيايد بن صالح وطلحة بن رزيق وأبي النجم عمران بن إسماعيل ثم خالد بن إبراهيم الربيعي - الشيباني، الذهلي، وعلاء بن الحريث وموسى بن كعب التميمي، (وعدة من خزاعة).

٣- نشاطات التنظيم العباسي:

عين الإمام العباسي أبا هاشم بكير بن ماهان مسؤولاً عن التنظيم في خراسان، ولسفره إلى السند لتصفية ميراثه من أخيه لذا عين الإمام زياد بن درهم الهمداني بدله، وأمره بالاتصال بسليمان بن كثير الخزاعي وبقية التنظيم في (مرو) على أن لا يعلن معارضته للحكم الأموي بحركة مسلحة، بل تبقى

المعارضة سرية، وحذره من كثرة مراسلته خوفاً من عيون الأمويين، وأشار إلى ضرورة الاستمرار في رفع شعار (للرضا من آل محمد) دون أن يصرح باسم زعيم (الإمام) التنظيم العباسي، والأهم من ذلك أمره أن ينزل في أهل اليمن، ويتألف ربيعة، ويبتعد عن مضر إلا في ثقاتهم، وأمره أن لا يكتفي ببث تلك الشعارات بين العرب فقط، وإنما طلب منه أن يتصل بالسكان المحليين، ومن هنا بدأ التوسع في جلب الأتباع إلى الحركة من غير العرب.

استعاد أبو هاشم بكير بن ماهان زعامة التنظيم في خراسان بعد عودته من السند، ووجد التنظيم قوياً، إلا أنه فوجئ بكتاب من الإمام العباسي، يذكرهم بمبادئ الدين الإسلامي، في وصية طويلة، وفي آخرها يتبرأ من خدش، لأنه ابتعد عن التمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ.

كان عمار بن يزيد (خدش) أحد أعضاء التنظيم في (مرو)، حيث استطاع أن يكسب أتباعاً جديداً بعد أن نادى بمبادئ خرمية متطرفة، يقول الطبري: (وأظهر دين الخرمية ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض، وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي (العباسي)). وبالرغم من أن التنظيم العباسي كان في الأساس يحمل بعض المبادئ المتطرفة (من هاشمية إلى عباسية)، إلا أن الجديد هنا، هو المناداة بمبادئ خرمية، وهي مزدكية متطرفة ومتأثرة بالدين الإسلامي. لقد انكشف أمر خدش، وأعدم من قبل السلطة الأموية عام ١١٨هـ/٧٣٦م.

بعد حادثة خدش قام بكير بن ماهان بإعادة النظر في بنية التنظيم السري في خراسان، حيث شكل مجلس الإدارة التنظيم من اثني عشر نقيباً، كلهم من العرب سوى واحد كان مولى لقبيلة عربية، وهم:

من خزاعة : سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وزيد بن صالح،
وطلحة بن زريق.

من تميم: موسى بن كعب، وعيسى بن كعب، ولاهز بن قريظة، والقاسم
ابن مجاشع.

من طيء: قحطية بن شبيب.

من شيبان: خالد بن إبراهيم الذهلي.

من بجيلة: أسلم بن سلام.

مولى بن حنيفة: شبل بن طهمان.

وكان هناك نظراء النقباء، إذا مات رجل من النقباء صير مكانه رجل من
النظرء، وكان هناك الدعاة، بلغ عددهم سبعين، ودعاة الدعاة وهم سبعة
وثلاثون.

أما خارج مرو، فهناك نقباء ودعاة أيضاً في بقية مدن خراسان: نسا،
وايبورد، وبلخ، ومرو الروذ، وخوارزم، وآمل. وقام بكير بن ماهان قبل سفره
بتعيين سليمان بن كثير الخزاعي رئيساً للنقباء ومشرفاً على التنظيم في
خراسان.

سافر أبو هاشم بكير بن هاشم ومعهم بعض أعضاء التنظيم، ومعهم
الأموال، إلى الحميمة عن طريق الكوفة، وقابلوا الإمام محمد العباسي، ودفعوا
إليه الأموال، وأثناء هذه المقابلة أحس الإمام بمرضه الأخير، لذلك عين ابنه
إبراهيم إماماً، وأوصاه بهم خيراً، وأكد على أن أبا هاشم بكير بن ماهان هو
المسؤول الأول عن التنظيم في الكوفة، وعند وفاته يكون أبو سلمة الخلال

مكانه، ثم أوصاه ببني مسلمية—الذين كانوا نواة التنظيم في الكوفة. وقد توفي محمد العباسي عام ١٢٤هـ/٧٤١م.

وقد عاد بكير بن همام إلى خراسان، وأوصى التنظيم العباسي بعدم رفع السلاح مع يحيى بن زيد بن علي: (فلا يخرجن معه أحد منكم، ولا يسعى في شيء من أمره، فإنه مقتول، وقد نعاه الإمام إلى أهل بيته). وهذه الوصية لها ما يبررها، فمادام هناك تنظيم سري يعمل من أجل خلافة عباسية، فليس من المعقول أن يساند حركة تعمل من أجل خلافة علوية.

وفي عام ١٢٦هـ/٧٤٣م وجه إبراهيم الإمام من جديد إلى خراسان بكير ابن ماهان وبعث معه بالسيرة والوصية، ونعى الإمام العباسي محمد بن علي وأوصاهم وقرب لهم أمرهم، وأمرهم بطاعة أبي هاشم والقبول عنه فجمع ابن ماهان النقباء في مرو ومن بها من أعضاء التنظيم ودعاهم إلى إبراهيم فقبلوا منه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال، فقدم بها بكير بن ماهان على الإمام إبراهيم بن محمد.

عند عودة بكير بن ماهان إلى الكوفة سجن بسبب دين عليه، فتولى رئاسة التنظيم أبو سلمة الخلال. وكان زوج ابنة بكير، فأرسله إبراهيم الإمام إلى خراسان، وكان برفقته هذه المرة أبو مسلم الخراساني، ومعهما ثلاث رايات سود، تسلم أحدها أبو عون عبد الملك الأزدي في جرجان، وتسلم الثانية سليمان ابن كثير الخزاعي في مرو، وأرسل الثالثة إلى ما وراء النهر مع مجاشع الأنصاري وقيل عمرو المرادي.

لقد استغل التنظيم العباسي التنبؤات والملاحم الشعبية، فأشاع أحاديث عن اللباس الأسود، والرايات السود، وأنها ستظهر من المشرق، وأنها منتصرة لا محالة، ولم يكتف التنظيم العباسي بذلك، بل طرح شعارات عديدة متنوعة لكي

يكسب كل الكتل المتذمرة من الحكم الأموي، وخاطب كل فئة باللغة التي تفهمها، ومن الممكن تلمس تلك الشعارات من الكتل والجماعات التي انضمت تحت لواء التنظيم العباسي والتي أيدت الثورة العباسية بعد ذلك، على أن الشعار الرئيسي الذي رفعه الثوار العباسيون كان (للرضا من آل محمد) يوضح إلى حد كبير أن العباسيين قد توجهوا بالدرجة الأساس نحو المسلمين - من عرب وغير عرب - هذا إذا تذكرنا أن التنظيم العباسي هو في الأساس متطور عن الحركة الهاشمية - المختارية، وهذا يشعرنا بأن التنظيم العباسي كان يميل إلى التطرف والغلو في بعض مبادئه، ثم رأينا ما طرحه (خداش) من مبادئ خرمية إباحية ثم ما قام من بعده أبو مسلم في الاتجاه نفسه. على أننا يجب أن نحذر من المبالغات الكثيرة في رواياتنا التاريخية - وتبعها مؤرخون محدثون - عن كثرة انضمام الموالي (المسلمون من غير العرب) والفرس بشكل عام إلى التنظيم العباسي أملاً في التخلص من الحكم الأموي العربي وتغيير أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية السيئة. ولو كان انضمام الموالي والفرس إلى التنظيم العباسي، وتأييدهم الثورة العباسية بهذا الشكل الواسع، لاستغلت مدن بلاد فارس فرصة الثورة لتتنفض عن بكرة أبيها ضد الأمويين، بل إن الروايات التاريخية تثبت عكس ذلك.

ونلاحظ تأييد النبلاء الفرس - نبلاء القرى - للدعوة العباسية وكان سبب تدميرهم يعود إلى فقدانهم امتيازاتهم الاجتماعية والاقتصادية بعد التنظيمات المالية التي وضعها نصر بن سيار.

على أن أهم الكتل التي قادت الثورة نحو الانتصار هم عرب خراسان، الذين فقدوا امتيازاتهم بصفاتهم أعضاء في الكتلة العربية الحاكمة. والذين تأثروا

أيضاً بكونهم خاضعين الأرستقراطية الفارسية غير المسلمة (الدهاقين)، فهؤلاء العرب المستقرون في خراسان كانوا هم سند الثورة.

وقد استغل التنظيم العباسي في خراسان تدمير المقاتلة العرب أيضاً، الذين كانت لهم أسباب عديدة للتدمير، أهمها تدميرهم من سياسة التجمير الأموية التي تقضي بإبقائهم على الحدود شتاءً وعدم السماح لهم بالرجوع إلى عوائلهم، وتدميرهم أيضاً من السياسة الأموية التي كانت تقطع رواتبهم أحياناً، أو تسلبهم فيئهم وغنيمتهم، أو تقطع نسبة أكبر مما تستحقه من هذه الغنائم.

الفصل الثاني: الثورة العباسية (١٢٨هـ - ١٣٢هـ / ٧٤٥م - ٧٤٩م)

أولاً: وضع الخلافة الأموية في الشام

بويح الوليد بن يزيد عام ١٢٥هـ/ ٧٤٢م بناء على وصية مسبقة من أبيه يزيد بن عبد الملك، وقد دخلت الدولة الأموية في مرحلة جديد بسبب ما واجهته من مصاعب نتيجة انقسام البيت الأموي بالدرجة الأساس، وكان لسلوك الخليفة الوليد وسياسته، الأثر الأكبر في تصدع البيت الحاكم، فقد انغمس باللهو والعبث، فضلاً عن سوء سياسته اتجاه القبائل العربية، فتعصب للقيسية على اليمانية، مما أثار حفيظة خصومه من البيت الأموي، فتزعم المعارضة يزيد بن عبد الملك ومعه اليمانية فسيطر على دمشق وهاجم مقر الخليفة ثم قتله عام ١٢٦هـ/ ٧٤٣م. وبذلك تسلم الخلافة يزيد بن الوليد. ولاعتماده على اليمانية في الإطاحة بالخليفة السابق لذلك فإن نصر بن سيار الوالي الأموي في خراسان رفض الاعتراف به، إلا أن يزيداً استطاع في النهاية أن يحصل على الاعتراف بخلافته من الأقاليم التي رفضت بيعته وهي خراسان وحمص وفلسطين وإفريقية، وقد توفي الوليد بعد مرور ستة أشهر على خلافته فتولى بعده أخوه إبراهيم لكنه لم يحصل على التأييد، وأدى إلى ظهور مروان بن محمد على الساحة السياسية، فاستغل قتل الوليد بن يزيد، واعتمد على تأييد القبائل القيسية، وطالب بالخلافة وتحرك بقواته نحو دمشق، واشتبك مع قوات إبراهيم لكنه سرعان ما قضى عليها ومن ثم سيطر على دمشق وأعلن نفسه خليفة عام ١٢٧هـ/ ٧٤٤م.

يعد مروان بن محمد من أجدر الخلفاء الأمويين الأواخر، إلا أن الظروف في الشام والأقاليم الأخرى لم تسر في صالحه، حيث امتد الصراع الدموي إلى حمص وفلسطين، فثارت اليمانية ضده في الوقت الذي كان مؤيداً من المضرية، وحدثت الاضطرابات في أقاليم العراق والجزيرة وكذلك في خراسان.

ثانياً: تطورات الثورة العباسية

اتخذت الحركة العباسية السرية مساراً جديداً بعد الاضطرابات التي حصلت في الشام والأقاليم، وبدأ التهيؤ للثورة ففي رواية أن بكير بن ماهان قال لأبي سلمة خلال قبل وفاته: (شمر في أمرك فقد فتح الله البلاء على بني أمية) - فانتشر أعضاء التنظيم في خراسان (فتحركت الدعوة: يدعو اليماني من الشيعة اليماني، والربعي الربعي والمضري المضري، حتى كثر من استجاب لهم.

ذهب أبو سلمة خلال ومعه خادمه أبو مسلم الخراساني إلى جرجان والتقى التنظيم العباسي، وأمرهم بالاستعداد للثورة، ثم تنقل في مدن خراسان، وفي مرو وجد التنظيم العباسي فيها قد كسب أتباعاً جديداً، ثم أقر سليمان بن كثير الخزازي مسؤولاً عن التنظيم العباسي السري.

لقد طلب سليمان بن كثير الخزازي من إبراهيم الإمام عن طريق أبي سلمة خلال إرسال من يمثل البيت العباسي، فأرسل إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني ممثلاً له وأرسل معه بعض التوصيات، وأمره بعدم مخالفة سليمان الخزازي وسليمان يومئذ صاحبهم والمنظور إليه منهم.

لقد استغل التنظيم العباسي الخلافات بين والي الأموي نصر بن سيار وأحد شيوخ قبائل الأزدي اليمانية علي بن جديع الكرمانني الأزدي، واستطاع

التنظيم من كسب الأخير ومعه أتباعه من الأزد وربيعه ومضر. وعندما قتل التحق جيشه العربي بالتنظيم العباسي، فقوي أمر التنظيم وأصبحت له قوة جديدة ضاربة من العرب اليمانية.

وقد تحرك أبو مسلم بسرعة مستغلاً الظروف الجديدة فعين بعض النقباء العباسيين ببعض المناصب الإدارية والعسكرية، إلا أن إبراهيم الإمام عين من قبله مباشرة قحطبة بن شبيب الطائي قائداً للجيش العباسي المواجه للقوات الأموية، الذي استطاع إلحاق الهزيمة بالقوات الأموية في جرجان، لكن أهل جرجان قاموا بالثورة، مما اضطر قحطبة إلى احتلال المدينة بالقوة، على أن المعركة المهمة كانت قرب أصفهان بين جيش الثورة بقيادة قحطبة الطائي والجيش الأموي بقيادة عامر بن ضبارة التي انتهت بانتصار الجيش العباسي، وبعدها احتل الجيش العباسي نهاوند بعد حصار شديد، ومن ثم وصل الجيش العباسي العراق، وقد تجنب قحطبة الطائي القوات الأموية المعسكرة في جولاء واستطاع عبور دجلة ومن ثم الفرات باتجاه الكوفة، وبالغرب من الفلوجة كانت المعركة مع الجيش الأموي الذي كان بقيادة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري انتهت بمقتل القائد العباسي قحطبة الطائي وانهزام ابن هبيرة نحو واسط. لكن الحسن بن قحطبة تسلم القيادة العسكرية بدلاً من والده.

ثالثاً: أبو العباس والقضاء على الخلافة الأموية

واجهت الثورة العباسية انتكاسة، وهي القبض على قائد الثورة إبراهيم الإمام ومقتله بعد ذلك على يد الخليفة الأموي مروان بن محمد. وعندما أحس إبراهيم الإمام أن الخليفة مروان سوف يقتله وأنه لا مفر له منه. أوصى بالإمامة من بعده إلى أخيه أبي العباس وأمره أن يسير هو وأهل بيته من

الحميمة إلى الكوفة. بعد أن أوصاهم بالسمع والطاعة لأبي العباس وقد بعث إليه بالوصية مع سابق الخوارزمي مولاه. ويوصيه بالقيام بالدولة، والجد والحركة وأن لا يكون له بعد الحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه إلى الكوفة، فإن هذا الأمر صائر إليه لا محالة.

ومن أجل تنفيذ وصية أخيه سار أبو العباس ومن معه من أهل بيته، من الحميمة إلى الكوفة، بعد أن أطلعهم على حقيقة الأمر، فبينما كان أبو العباس سائراً في طريقه قابله عمه داود بن علي وابنه موسى بن داود. وهما متوجهان من العراق إلى الحميمة، فسأله داود عن سبب مسيرة، فأخذه بسببه، وأعلمه بمناصرة أهل خراسان له وأنه يريد الوثوب بالكوفة، فقال له داود: يا أبا العباس تثب بالكوفة ومروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة. مظل على أهل العراق، وابن هبيرة شيخ العرب في جلة العرب بالعراق؟ فقال له أبو العباس: يا عماء من أحب الحياة ذل، وتمثل بقول الأعشى:

فما ميتة أن متها غير عاجز بعار، إذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود إلى ابنه موسى، فقال: أي بني، صدق ابن عمك أرجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراماً، فعطفا ركبهما معه. ثم سار أبو العباس ومن معه حتى قدموا الكوفة في صفر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقد كان لهم بها أحد كبار أنصار الدعوة العباسية وهو سلمة الخلال فعندما وصلوا الكوفة، حاول أبو سلمة أن ينكر قدومهم بحجة أن الوقت غير مناسب، وقال: خاطروا بأنفسهم وعجلوا، فليقيموا بقصر مقاتل - وهو على مرحلتين من الكوفة - حتى ننظر في أمرنا. لقد جاء بنو العباس إلى أبي سلمة لينصرهم ويقف إلى جانبهم إلا أنهم رأوا منه عكس ما كانوا يتوقعون، فخافوا أن يقيموا في تلك الدار وكتبوا

إليه يستأذنون به بدخول الكوفة، لأنهم في هذا المكان لا يأمنون على أنفسهم من أن تغير عليهم جيوش الشام، ولهذا فقد أنن لهم أبو سلمة وعلى كره منه، وأنزلهم في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود وهو حي باليمن. كتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة عن جميع القواد وأنصار الدعوة العباسية.

ولقد حاول أبو سلمة أن ينتهز فرصة اختفاء أبي العباس ومن معه في الكوفة، ليعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين، إلا أن محاولته هذه فشلت في النهاية، وذلك بفضل جهود ومسااعي الدعاة والقادة الخراسانيين الذين أحبطوا مؤامراته، وقابلوا أبا العباس وبايعوه بالخلافة، ونتيجة لذلك فقد تأخرت البيعة لأبي العباس في الكوفة المدة التي أخفى فيها سلمة أبا العباس أي أكثر من شهر.

١- البيعة الخاصة:

ذكرنا سابقاً أن أبا سلمة خلال أخفى أبا العباس وأهل بيته عن أنصاره والقادة الخراسانيين، فقد أدى ذلك العمل إلى ارتياب الخراسانيين من تصرفاته، فقالوا: يا أبا سلمة مالك دعونا وما أنت لنا بإمام. وحين سأل أبو الجهم بن عطية عن أبي العباس، كان أبو سلمة يقول: ليس هذا وقت خروجه لأن واسطاً لم تفتح بعد. ولكن أبا سلمة لم يفلح في النهاية، وذلك بفضل جهود ومسااعي الدعاة الخراسانيين، الذين قابلوا أبا العباس وبايعوه وأخرجوه من المكان الذي أخفى فيه.

ولتوضيح ذلك هناك رواية أجمع عليها المؤرخون القدامى، وهي أن أحد الخراسانيين وهو محمد بن إبراهيم الحميري ويكنى أبا حميد السمرقندي كان قد خرج إلى الكناسة - وهي محل بالكوفة - فبينما هو في الطريق لقي سابقاً

الخوارزمي، فسأله عن الإمام، فقال له أن مروان قتله، ويقصد بذلك إبراهيم الإمام، وأوصى بالإمامة من بعده لأخيه أبي العباس، وهو الآن في الكوفة ومعه أهل بيته، فطلب منه أبو حميد أن يأخذه إليه، فاعتذر سابق الخوارزمي عن ذلك قبل أن يأخذ رأي أبي العباس، وقال، ولما حان الموعد المحدد التقيا، فسار سابق بأبي حميد إلى المكان الذي يقيم فيه أبو العباس وأهل بيته، فدخل أبو حميد عليهم، وعزاهم بإبراهيم الإمام، وسألهم عن ابن الحارثية فأشاروا إلى أبي العباس، فبايعه بالخلافة.

وهناك رواية يتفق فيها الطبري والمسعودي وابن خلدون، تقول أنه لما دخل أبو حميد سأل عن الخليفة، فقال له داود بن علي: هذا إمامكم، وأشار إلى أبي العباس، فسلم عليه بالخلافة، بعد ذلك رجع أبو حميد إلى مكانه وأخبر أبا جهم بن عطية بمكانهم، ثم أنه أخبره بسوء معاملة أبي سلمة لهم، وكان يقتصد في نفقاتهم، إلى حد أنه لم يعطهم مائة الدينار التي كانوا قد طلبوها منه لكي يعطوها أجراً للجمال عن الجمال التي حملتهم، فسار أبو حميد وأبو الجهم إلى باقي الدعاة أو القادة الخراسانيين وأخبرهم بذلك فأرسلوا إليهم مائتي دينار بدل المائة. وعلى إثر ذلك اجتمع أبو الحميد بن ربيعي وسلمة بن محمد، وعبد الله ابن بسام وغيرهم، فجاءوا إلى الكوفة ودخلوا على أبي العباس وأهل بيته وقالوا: أيكم ابن الحارثية؟ فأشاروا إلى أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في أخيه إبراهيم، ثم رجع أبو جهم بن عطية وموسى بن كعب وخلفوا الباقيين عند الإمام، بعد أن اتخذوا إجراءات أمنية مشددة ضد أبي سلمة إذ أوصى أبو الجهم أبا حميد قائلاً له: إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده، ولما جاء أبو سلمة منعوه من الدخول ومعه أحد فقبل يد أبي العباس وقدميه، واعتذر له ولما بدأ يعتذر رأى أبو العباس أن من حسن السياسة أن يقطع اعتذار أبي

سلمة، فقال له: عذرك يا أبا سلمة، غير مفند، وحقك لدينا معظم وسابقتك في دولتنا مشكورة، وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكرك لا يدخله خلل، فانصرف إلى معسكره بحمام أعين.

إن إخراج أبي العباس من الموضع الذي كان مختبئاً فيه ثم إعلان خلافته في الكوفة لا يمكن أن يكون صدفة كما يرى أحد الباحثين، بل يعتقد أن ذلك كله بمبادرة من قادة الدعوة العباسية العرب الذي وصلوا الكوفة، ولهذا فهناك احتمالان الأول هو أن يكون أبو العباس وأهل بيته قد أخبروا بعض قادة الدعوة بقرب انتقالهم من الحميمة إلى الكوفة، فلما أبطأ عليهم خبر ظهورهم فيها، أوعزوا بالبحث عنهم، والاحتمال الثاني وهو الأقرب إلى الظن، أن العباسيين حين سمعوا رأي أبي سلمة بضرورة الاختفاء حتى يتجلى الموقف، أرسلوا بذلك الخبر إلى بعض كبار الدعاة، فأسرعوا بقطع الطريق عليه، ومنعه من فعل ما أراد. والرأي الأخير هو الأقرب إلى القبول، حيث أخرج أبو العباس وبويع بالخلافة.

٢- البيعة العامة:

خرج أبو العباس في اليوم التالي لبيعته الخاصة، فتلقى البيعة العامة من الناس، وبويع أبو العباس بالخلافة في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م بالكوفة، وقد اختلفت المصادر في تاريخ بيعته، إلا أن المرجح أنها كانت في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، وذلك لأن أغلب روايات المؤرخين القدامى تشير إلى هذا التاريخ.

وقيل أن أبا العباس خرج ليلة الجمعة لابساً السواد، فصلى صلاة المغرب في مسجد بني أود، وفي هذه الليلة ظهر أبو سلمة في مسجد الكوفة وكان لابساً

السواد، وأعلن ترشيح أبي العباس إلى الخلافة وطلب من الناس مبايعته. ففي رواية ابن اعثم الكوفي أن أبا سلمة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وخطب في الناس وأوصاهم أن يأتوا إلى المسجد لببيعة أبي العباس.

ولما أصبح الناس في يوم الجمعة كان القواد والناس قد اصطفوا بسلاحهم منتظرين خروج أبي العباس، وقد حضروا له الملابس السوداء التي يلبسها وأتوه بالدواب التي يركبها هو وأهل بيته، وبالسلاح الذي يحمله، وساروا إلى المسجد الجامع، وأقبل أبو سلمة ودخل المسجد وكان لابساً السوداء، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محمداً صلى عليه، وعلى آله الطيبين، ثم أرسل إلى أبي العباس فدعاه.

فركب أبو العباس برذونا أبلق، وركب معه أهل بيته فدخلوا دار الإمارة، ثم خرج إلى المسجد وصلى بالناس، ثم صعد المنبر، حين يبيع بالخلافة، ووقف في أعلاه وصعد عمه داود بن علي فوقف دونه، وكان أول عمل قام به فأحبه فيه الناس هو أنه خطب على المنبر قائماً، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً، فناداه الناس: يا ابن عم رسول الله أحبيت سنة رسول الله ﷺ، وقد خطب أبو العباس خطبة سياسية بليغة فقال: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته.. وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته.. ووضعنا من الإسلام وأهله بالوضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(١) وقال: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِيَّاكَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢) وقال: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى»^(٣) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبئية الضلال، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشامت وجوههم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم. وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا ما كان فاسداً.. فتح الله ذلك منه ومنحه لمحمد ﷺ. فلما قبضه الله إليه، قام بذلك أمر الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاوروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه، فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض.

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٤١.

بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدكم في أعطيـاتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير.

وقد كان أبو العباس موعوكاً فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر، وخطب عمه داود بن علي، خطاباً بليغاً، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان فصيحاً بليغاً، وأنه كان من أفصح بني العباس.

وعندما خطب داود بن علي قال: الحمد لله شكراً شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ .. أيها الناس، إنا والله أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا وما كرثنا من أموركم.. ولقد كانت أموركم ترمضنا .. ويشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم، واستذلّاهم لكم، واستثنّاهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمة الله تبارك وتعالى، وذمة رسوله ﷺ، وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ، تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان..

فجح الناس له بالدعاء، ثم قال: يا أهل الكوفة، إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون.. ودالكم على أهل الشام. ونقل إليكم السلطان، وعز السلطان، وعز الإسلام.. ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد، وأشار بيده إلى أبي العباس، فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام، والحمد لله رب العالمين ما أبلانا وأولانا.

وبعد إكمال الخطبتين نزل أبو العباس وداود أمامه حتى دخل قصر الإمارة، وأجلس أخاه أبا جعفر لأخذ البيعة على الناس، ثم صلى بهم صلاة العصر ثم صلاة المغرب.

إن المهمة التي أسندها أبو العباس لأخيه أبي جعفر وهي أخذ البيعة على الناس في المسجد، تدل على مقام أبي جعفر، إذ أن إسناد أبي العباس هذا الأمر الخطير والمهم لأخيه دون غيره. يوضح لنا بلا شك مقدار الثقة والآمال الكبيرة التي يعلقها على أخيه في سياسة الدولة القادمة.

ويبدو أن عدداً من وفود الأمصار والأقاليم بدأت تفد على بلاط أبي العباس للتهنئة، فقد أرسل إليه عمه عبد الله بن علي وفداً من شيوخ أهل الشلم، فحلفوا لأبي العباس أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ قرابة، ولا أهل بيت يرثونه إلا بني أمية حتى وليتم أنتم، كما وصل وفد من أهل نجران وقفوا في طريق أبي العباس بعد مبايعته في الكوفة، فألقوا فيه الريحان ونثروا عليه وهو منصرف إلى منزله في المسجد، فأعجب أبو العباس بهذا العمل، ولا بد أن وفوداً أخرى عديدة وصلت للتهنئة والبيعة كما هي العادة.

٣- معركة الزاب ونهاية الأمويين:

بعدما بويع أبو العباس بالخلافة، كان أول عمل مهم واجهه هو السعي إلى القضاء على الخليفة الأموي مروان بن محمد وقواته المرابطة في موقع استراتيجي عند الزاب.

فقد كان لابد من القضاء على كل نفوذ الأمويين إذا أريد للدولة الجديدة البقاء، وبالقضاء على الخليفة الأموي يتم الثأر لبني هاشم الذين أساء الأمويون إلى بعضهم، خاصة أن ذلك كان أحد شعارات الدعوة العباسية المعلنة.

لقد أرسل القائد العباسي قحطبة بن شبيب الطائي جيشاً يقوده أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور. وكان بها عبد الله بن مروان -ابن الخليفة الأموي مروان بن محمد- وعلى مقدمة جيش عبد الله بن مروان عثمان ابن سفيان، فعندما وصل الجيش العباسي إلى شهرزور، جرت معركة حاسمة في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣١هـ/ ١٠ آب ٧٤٩م بين أبي عون وعبد الله بن مروان، وعلى إثر هذه المعركة انهزم عبد الله بن مروان وتراجع نحو شمالي العراق، وقتل عثمان بن سفيان في المعركة، وأقام أبو عون في شهرزور، ومعنى ذلك أن فرقة من جيش العباسيين بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي بقيت متمركزة على الطف الجنوبي لنهر الزاب الأعلى، حيث تخندقوا هناك تنتظر الأوامر.

وبعد موقعة شهرزور أحس مروان بن محمد بالخطر، فأعد للأمر عدته، حيث سار من حران واتجه نحو الموصل بهدف لقاء أبي عون، حتى نزل بالقرب من نهر الزاب الكبير وفي موقع حصين، وقد حفر له خندقاً هناك، وبهذا يكون مروان قد تمركز على الضفة الشمالية من نهر الزاب الكبير في موقع استراتيجي مثلث يحميه من جهتين نهر دجلة والزاب الأعلى، أما الضلع الثالث فكان محمياً بخندق طويل.

تدارك الخليفة أبو العباس الموقف حيث عين عمه عبد الله بن علي العباسي قائداً أعلى للجيش العباسي الذي وجهه لينضم إلى قوات أبي عون المرابطة في شهرزور، خاصة بعد أن أدرك حاجة أبي عون إلى من ينجده.

إن إرسال أبي العباس عمه عبد الله بن علي يدل على مدى إدراكه لخطر وجود مروان في موقع استراتيجي قوي لا يكون مواجهاً له فحسب بل متسلطاً

عليه بحيث يحتمل أن ينقض عليه في أية لحظة، ثم إن أبا العباس استشار بعض صحابته ورجال دولته وأهل بيته، حول من يذهب لمحاربة مروان، وبعد مداولات تردد فيها العديد من العباسيين في تحمل هذه المسؤولية، قال الخليفة: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن علي: أنا، فقال: سر على بركة الله، فسار عبد الله بن علي إلى أن وصل إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي فتحول أبو عون عن سرادقه وخلاه وما فيه، وبذلك أصبح عبد الله ابن علي قائداً للجيش.

وفي ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ / ١٥ كانون الثاني ٧٥٠م، بدأ الصدام المسلح بين الجيشين، فقد عبرت فرقة من الجيش العباسي بقيادة عيينة بن موسى في خمسة آلاف مقاتل، واشتبكوا مع جيش مروان حتى المساء حيث عادت الفرقة إلى قواعدها، ولما كان الصباح التالي عقد مروان جسراً على نهر الزاب، وقاد جيشه لغرض عبور الجسر فعبر مروان إلى جهة عبد الله بن علي، وفي رواية أنه أثناء عبور مروان للجسر ركب فرسه الأشقر، الذي كان يسمى (أشقر مروان) وكان يرجز ويقول مفتخراً بشجاعته وأنه لم يخسر معركة قط.

رائعة تحمل شيخاً رائعاً مجرباً قد شهد الوقائع

ويرى الدكتور فاروق عمر أنه بعبور مروان إلى الساحل الأيسر من الزاب الكبير يكون قد ارتكب خطأً استراتيجياً فقد فيه مروان سيطرته والموقع الحصين الذي كان معسكراً فيه، وقد استمرت المعركة عشرة أيام، خسر فيها مروان المعركة النهائية وانسحب باتجاه الموصل فالشام وعبد الله بن علي يتبعه، ولم تستجب لمروان بن محمد الكثير من قبائل الشام مما اضطره إلى

الانسحاب مع أنصاره باتجاه فلسطين ثم مصر وابن علي العباسي يتبعه. وفي قرية بوصير في مصر تم القبض على مروان وقتل وأرسل رأسه إلى الخليفة العباسي، وبمقتل مروان انتهت الدولة الأموية.

الفصل الثالث: موقف الخلافة العباسية تجاه مناورات العناصر

الفارسية في الدولة

أولاً: نفوذ خالد بن برمك

ينسب خالد بن برمك إلى البرامكة، وهم أسرة من بلاد فارس من مدينة بلخ ينسبون إلى جدهم برمك، ولم يكن برمك اسماً لشخص، وإنما هو لقب أطلق على جد هذه الأسرة توارثوه فيما بينهم، إذ أن هذا اللقب يعني رئيس أو كبير سدة معبد النوبهار الذي كان في بلخ، ويظهر هذا من قول المسعودي في حديثه عن النوبهار، وكان الموكل بسدائنه يدعى اليرموك، وهي سمة عامة لكل من يلي سدائنه. ومن أجل ذلك سميت البرامكة، لأن خالد بن برمك من ولد من كان على هذا البيت.

وفي رواية يؤكد المقدسي أن البرامكة كانوا من أهل بيوتات بلخ ممن يتولون البهار وبيت النار فقليل لهم البرامكة على معنى أنهم سدة البيت وحجابه، ويؤيده ابن خلكان في ذلك بقوله، اشتراه برمك وبنوه بسدائنه.

ويرى بعض المؤرخين أن معبد النوبهار كان بيتاً من بيوت النار، إلا أن هناك ثمة من يرى أن النوبهار لم يكن من بيوت النار، وإنما هو معبد بوذي وهو الأرجح، وهنا يمكن القول أنه على الرغم من أن دين البرامكة كان بوذياً، إلا أن أصلهم من خراسان من بلاد فارس.

إن الروايات التي تشير إلى أن جد البرامكة الذي لقب بـ(برمك) كان من مجوس بلخ، تبدو ضعيفة، لأنها تعطي بعداً لا يستند على روايات موثوقة عن أصل البرامكة، ومن سياق هذه الروايات يبدو أثر الوضع غالباً عليها، وهي

على أحسن الاحتمالات روايات فارسية شعوبية لا يؤخذ بها، لأنها أشيعت بين الناس بعد سيطرة البرامكة على السلطة، لتأكيد دور الفرس وأثرهم في سياسة العباسيين.

تحدد بعض المصادر مولد خالد بن برمك عام ٩٠هـ/٧٠٨م، وقد جرت محاولة لربط خالد البرمكي بنسب عربي، حيث ذكرت رواية، أن قتيبة بن مسلم الباهلي أقام على بلخ لأن بعضها كان منتقماً عليه فحارب أهله، فكان ممن سبي امرأة برمك، أبي خالد بن برمك، وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله أخي قتيبة، فوقع عليها ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة، فأمر قتيبة برد السبي، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم: إني قد علقت منك، وعند وفاة عبد الله أوصى أن يلحق به ما في بطنها، وردت إلى برمك، وأن ولد عبد الله بن مسلم جاعوا أيام المهدي حين قدم إلى الري إلى خالد، فأرادوا أن يلحقوه بهم فمنعهم مسلم بن قتيبة من ذلك.

إن هذه الرواية تبدو موضوعة ولا يمكن الأخذ بها، ذلك أن العديد من الموالى الطموحين حاولوا الانتساب إلى العروبة لزيادة فرص نجاحهم أو ارتقائهم في الدولة والمجتمع، فهي ظاهرة تتكرر كثيراً في تلك الحقبة، ثم إن سبي امرأة خالد حصل في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م. وأن عبد الله أخا قتيبة أخذها عنده، ثم ردت إلى زوجها في اليوم التالي، فلا بد أن تكون ولادة خالد بن برمك ٨٧هـ/٧٠٦م، بينما تذكر غالبية المصادر أن خالداً ولد في سنة ٩٠هـ/، وهذه الرواية على كل حال تدل على قوة العروبة وأهمية الانتساب إليها، ولكنها لا تعني أن الدولة كانت تتبع سياسة التمايز بين العرب والموالى أو عناصر المجتمع الأخرى.

وقد وصف خالد البرمكي بالجدود ولا بأس والعقل، ولم يصل ولده إلى ما امتاز به من صفات، كما وصفه أغلب المؤرخين بالكرم، وفي رواية ما رأيت مثل خالد بن برمك بلاغته أعرابية، وطاعته أعجمية، وآدابه عراقية، وفصاحته شامية، وكتابته سوادية، ورغم أن الرواة قد بالغوا في تصوير خالد بن برمك وأبرزوا قابلياته بسبب سلطته، فإنه لا شك كان يتمتع بقدرات إدارية ومالية لفتت إليه نظر الخليفة أبي العباس.

- دوره السياسي وموقف الخليفة:

كان خالد بن برمك أحد نظراء النقباء، من دعاة بني العباس، حيث ارتبط بالدعوة العباسية منذ بدايتها، واشترك في العمل مع الدعاة العباسيين، يقول ابن عساكر أن خالدًا كان متصلاً بمحمد بن علي ثم إبراهيم الإمام بعده، وكان عند ظهور أبي مسلم من رجاله البارزين حيث أرسله لفتح طوس بعد هرب نصر ابن سيار آخر الولاة الأمويين في خراسان من مرو.

وظهر أنه كان إدارياً قديراً وذا خبرة في الأمور المالية، فيذكر الجهشيارى أن خالدًا كان في عسكر قحطبة بن شبيب يتقلد خراج ما افتتحه قحطبة من الكور، كما أنه تولى تقسيم الغنائم في عسكر قحطبة الطائي، وأنه عهد إليه بتنظيم الخراج في خراسان، إضافة إلى أن قحطبة استفاد من مشورته أثناء الحرب ضد بني أمية، وذلك لما كان يتمتع به خالد من خبرة وتجربة.

إن أول من اتصل بالعباسيين من البرامكة هو خالد بن برمك، فقد اتفق المؤرخون على أنه لما عقدت البيعة لأبي العباس، كان خالد أحد الذين ذهبوا إلى أبي العباس ليبياعوه بالخلافة، فرأى أبو العباس فيه فصاحة توهم سامعه أنه

من العرب فسأله من الرجل؟ قال له: مولاك خالد بن برمك، وقص عليه قصته، وقال: أنا كما قال الكميّ بن زيد:

فمالي إلا آل أحمد شـيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

فأعجب به أبو العباس وأقره على ما كان يتقلد من أمر الغنائم، قلده بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند، وذلك لتميز خالد في الإدارة المالية منذ عهد الدعوة العباسية.

وقد اشترك خالد البرمكي أيضاً في الحرب ضد الأمويين بعد الإعلان عن تأسيس الدولة العباسية، فقد كان خالد البرمكي من جملة القواد الذين أرسلوا لمحاربة ابن هبيرة في واسط.

كما تحمل خالد مسؤوليات الوزير رغم أنه لم يسم وزيراً، ويقول ابن الطقطقي عن خالد: وكان يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيراً، حيث رفض خالد بعد مصرع أبي سلمة الخلال أن يلقب بالوزير، مع أنه خلفه في مهام منصبه، إضافة إلى جميع المهمات الأخرى التي كان يقوم بها.

ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن خالد بن برمك تميز بكفايته في المسؤوليات التي تسلمها، بحيث نال ثقة الخليفة أبي العباس وغدا من خاصته، فقد أحله أبو العباس من نفسه محل التكريم، وقد دأب خالد على أن يظهر أمام أبي العباس بمظهر الإخلاص والتواضع ولهذا كان أبو العباس شديد الرضا عنه، ولا تشير الروايات التاريخية إلى سنة تسلمه الوزارة.

لقد وصف خالد بكونه حسن التدبير يصرف الأمور بحكمة وروية، ثم إنه كان حازم الرأي بعيد النظر مخلصاً للخليفة، متفانياً في خدمته، ففي رواية شكّا الخليفة إليه يوماً أنه يخشى نفوذ أبي مسلم الخراساني، فإن له في نفوس الجند منزلة عظيمة يهابونه ويخشونه ويأتمرون بأمره وينتهون عند نهيه، فلم تغرب

الحيلة عن ذهن خالد بن برمك، ولم يعز عليه أن يستشير على الخليفة برأي فيه تشكيك للجند في أبي مسلم، وحط لمكانه، وخض لشوخته وتوهين لقوته، وبمعنى آخر أشار عليه برأي ظاهره تقوية جيش أبي مسلم وباطنه تحطيم مركزه، وكان رأي خالد أن يأمر أبا مسلم بعرض جيشه، وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان، ففعل أبو مسلم ذلك، من غير أن يفطن للأمر، وجلس للعرض في أول يوم، وأسقط جنداً كثيراً، ليسوا من أهل خراسان، ثم جلس في اليوم الثاني، وفعل ما فعل في اليوم الأول، ثم جلس في اليوم الثالث، فقام إليه رجل فقال: علام تسقط الناس أيها الرجل منذ ثلاث؟ فأجابه أبو مسلم: أسقط من لم يكن من أهل خراسان، قال: فابدأ بنفسك، فإنك من أهل أصبهان، وقد دخلت في أهل خراسان فوثب أبو مسلم عن مجلسه، وقال: هذا أمر أحكم بليل وحسبك من شر سماعه، وفطن لما أريد به، وبلغ الخبر أبا العباس فسرده، ومن ذلك يتبين أن أبا مسلم تنبه في اللحظة الأخيرة التي خطط لها خالد لإضعاف ولاء الجند له ومن ثم السعي إلى إسقاطه.

ويظهر أن العلاقة كانت قوية بين أبي العباس وخالد بن برمك، كما أن أبا العباس كان يعتمد على خالد في الأمور الإدارية، نظراً لما تمتع به خالد من فطنة ودهاء وخبرة، ولكن خالد البرمكي لم يتعد نفوذه أو يتجاوز صلاحباته لتطغي على صلاحيات الخليفة أبي العباس أو تتعارض معها.

ثانياً: خيانة أبي سلمة الخلال

هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني، مولى لقبيلة السبيع بن همدان، أو لبني الحارث بن كعب من العراق، وقد اختلفت الروايات بشأن لقبه، هناك من يقول أنه يعود إلى خلل السيوف ومنهم من يقول أنه ينسب إلى حارة الخلايين بالكوفة؛ لأنه كان يسكن فيها.

١- دوره السياسي:

كان لأبي سلمة دور مهم في الدعوة العباسية، وقد جاءت علاقته بالدعوة عن طريق كبير دعاة العباسيين بالكوفة بكير بن ماهان، حيث كان أبو سلمة نسبياً له (أي زوج ابنته)، فعندما مرض بكير وحضرته الوفاة أوصى أن يكون أبو سلمة نائباً على ما كان يقوم به من أمر الدعوة، وكان ذلك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، حيث كتب لإبراهيم بن محمد الملقب (بالإمام) زعيم الدعوة بذلك وزكاه له وأثنى عليه، فوافق إبراهيم على ذلك، وكتب إلى أبي سلمة يعلمه ويأمره بما يريد من أمر الدعوة وكذلك أنبأ شيعته بخراسان بأنه قد أسند أمرهم إليه، فمضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره، ودفعوا إليه ما اجتمع لديهم من نفقات الشيعة وخمس الموالى، ومن هنا بدأت رحلته مع الدعوة، وبدأ نشاطه السياسي يزداد من خلال إنفاقه الكثير من أمواله الخاصة، من أجل الدعوة العباسية ورجالها، وتنقله المستمر بين الكوفة وخراسان، وذلك من أجل الدعوة لبيعة إبراهيم الإمام، والإشراف على تطورات الدعوة العباسية، يقول ابن خلكان: كان أبو سلمة ذا يسار ويعالج الصرف بالكوفة وأنفق أموالاً كثيرة في إقامة دولة بني العباس وسار إلى خراسان وكان يدعو لبيعة إبراهيم الإمام. وقد بقي نشاطه في خراسان إلى سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، ثم سلم الأمر إلى أبي مسلم الخراساني بناء على أمر زعيم الدعوة إبراهيم الإمام.

وعندما انتصرت الدعوة العباسية، ودخل الحسن وحميد ابنا قحطبة بن شبيب على رأس الجيش العباسي مدينة الكوفة يوم ١١ محرم سنة ١٣٢هـ/أيلول ٧٤٩م بعد هزيمة ابن هبيرة، أظهروا أبا سلمة وسلموا إليه الرئاسة وسموه وزير آل محمد، وأظهر الإمامة الهاشمية، ولم يسم الخليفة، وقد عسكر أبو سلمة بحمام أعين، وأقام بها.

٢- خيانة الخلال للدولة العباسية:

ذكرنا سابقاً إقدام أبي سلمة الخلال على كتم أمر أبي العباس وتأخير إعلان بيعته بين الناس، وكيف إن قادة الدعوة العباسية ارتابوا من تصرفاته، حيث حاول في الوقت نفسه تحويل مسار الثورة إلى اتجاه مضاد، ويدل على ذلك قوله: أظن قد مات الإمام الذي كان يؤتمر له، ويفهم من ذلك أنه عزم على نقض ولائه للعباسيين.

لقد خان أبو سلمة الخلال الثورة العباسية، وذلك حين أراد أن يبايع العلويين حيث راسل ثلاث شخصيات من كبار العلويين عارضاً الخلافة لأحد منهم، وهم الإمام جعفر بن محمد (الصادق)، وعبد الله بن الحسن المحض، وعمر بن علي بن الحسن، وكان أبو سلمة الخلال قد أمر رسوله بأن يقابل أولاً جعفر الصادق، ويعطيه الرسالة الخاصة به فإن قبلها أعدم الرسالتين الآخرين.. وإلا ذهب إلى الثاني فالثالث.

أما جعفر الصادق فإنه رفض ذلك العرض رفضاً قاطعاً، حيث قال وما أنا وأبو سلمة هو شيعة لغيري، وقام بإحراق الرسالة فور وصولها إليه وتمثل بقول الكميت بن زيد:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤنا ويا حطباء في غير حبلك تحطب

أما عبد الله بن الحسن فقد قبل العرض، ولكنه تردد قليلاً، حيث توجه إلى جعفر بمن محمد (الصادق) ليأخذ رأيه، فحذره جعفر من عاقبة ذلك، وقال له: ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟ أنت وجهت إليهم أبا مسلم! هل تعرف أحداً منهم باسمه أو بصورته فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك. ثم أخبره أن أبا سلمة مخدوع مقتول، وأن هذا الأمر لا يتم لكم فإن أبا هاشم أخبرهم بأنه سيكون في ولد العباس، وأن هذه الدولة ما هي لأحد من

ولد أبي طالب، وفي هذه الروايات دعاية عباسية واضحة، ولكنها إن صححت فإنها تدل على معرفة جعفر الصادق بنشاطات العباسيين السرية خاصة بعد اجتماع بني هاشم في الأبواء.

وفي رواية لليعقوبي أن عبد الله بن الحسن ذهب إلى الإمام جعفر الصادق وأخبره بأنه سيكلف ابنه للقيام بالأمر، ولكن الإمام جعفر نهاه عن ذلك، وقال له: "أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك، فإني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت". ولكن عبد الله بن الحسن لم يقتنع بما ذكره الإمام جعفر الصادق، وعد ذلك من ضرور الحسد، ثم اجتمع بأهل بيته وقال لهم: أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الأمر فأوصاهم بمبايعة ابنه والدعوة له، أما المرشح الثالث عمر بن علي بن الحسن، فلم يذهب الرسول إليه بسبب الرد المقنع نوعاً ما والذي حصل عليه من عبد الله بن الحسن.

ولابد من الإشارة أن رسول أبي سلمة حمل موقف عبد الله بن الحسن إلى أبي سلمة، ولكن بعد فوات الأوان فقد كان التنظيم العباسي قوياً، إذ أن الدعاة اكتشفوا مكان اختفاء أبي العباس وأعلنوا بيعته بين الناس، مما اضطر الخلال إلى الاعتراف بالأمر الواقع والبيعة لأبي العباس، وقد اعتذر الخلال من أبي العباس -كما ذكرنا سابقاً- وقبل اعتذاره.

وبهذا فشلت محاولة الخلال، ولقد اختلف المؤرخون الرواد فيما بينهم في تفسير هذه المحاولة فمنهم من يقول أنه أراد أن يجعل الأمر شورى بين بني هاشم من عباسيين وعلويين، ولكنه عدل عن ذلك وقال: أخاف أن لا يتفقوا.

وتؤكد روايات تاريخية أخرى أن أبا سلمة كان عازماً على نقل الخلافة إلى العلويين، وخطط لذلك بأن أخر إظهار الخليفة العباسي أو البيعة له، ويذكر البلاذري: أن أبا سلمة أراد أن يعد لها إلى ولد فاطمة. ويعضد هذا الرأي ما

قاله اليعقوبي: أن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته ودبر أن يصير الأمر إلى بني علي بن أبي طالب.

ويتفق عدد من المؤرخين أن الخلال أراد نقل الخلافة إلى العلويين عندما بلغه نبأ مقتل إبراهيم الإمام، فيقول الجهشيارى: وكان لما صح عنده موت إبراهيم الإمام لقي رجلاً من شيعة علي عليه السلام فناظرهم في نقل الأمر إلى ولد علي، وهذا يعني أن ولاءه كان لإبراهيم الإمام بالذات.

يمكن القول أن السبب الرئيسي الذي دفع الخلال إلى الانحراف هو طموحه السياسي ورغبته في الاحتفاظ بموقع قوي في الدولة الجديدة جعله يخطط لترشيح خليفة علوي ضعيف يختاره بنفسه، فيكون أبو سلمة المدبر الفعلي للدولة، وليس للخليفة غير الاسم فقط.

ويرى الدكتور فاروق عمر أن ولاء الخلال كان لإبراهيم الإمام بالذات وعلاقته كانت وطيدة بشخصه، ولهذا لما سمع بمقتله على يد مروان آخر الخلفاء الأمويين، أراد أن يجعل الخلافة علوية إذ أنه أدرك أن تسلم أبي العباس للسلطة ربما سيحد من نفوذه القوي في العراق، والذي أخذ يتعاضد بعد نجاح الدعوة العباسية، ويبدو أنه أراد بذلك العمل أن يكون صاحب فضل على العلويين الذين كانوا يرون أن الخلافة من حقهم، وأن العباسيين سلبوهم ذلك الحق.

ويرى مؤرخ حديث آخر أن أبا سلمة في مؤامراته هذه يدخل في عداد الشعوبيين، فقد كانت عملية الخلال هذه مؤامرة أراد بها إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين في الوقت الذي كانت فيه جيوش العباسيين لا تزال في حرب مع جيوش الأمويين فتتمكن القوات الفارسية من الانقضاض على الجيوش العربية المتنازعة وتقضي عليها فيعود الملك للفرس، ويؤيد هذا الرأي

الدكتور فاروق عمر حيث يعد خيانة الخلال أول مؤامرة فارسية تواجه الخلافة العباسية وهي لم تعلن بعد وهذا ما يؤكد أن أبا سلمة الخلال لم يستطع التخلص من العقدة الفارسية والتي ظهرت بصورة واضحة ومكشوفة في تصرفه هذا.

أما عن أسباب فشل محاولة الخلال، فيمكن القول أن هذه المحاولة التي عدها بعضهم دسيسة لجس النبض أولاً، ولتردد الشخصيات العلوية بالمغامرة والجرأة في الوقت المناسب التي تتطلبها السياسة ثانياً ولقوة الدعاة العباسيين وجهودهم في التحري عن الخليفة ثالثاً، إضافة إلى ذلك فإن العلويين لم يكن لهم من قوة التنظيم وكثرة الأنصار ما يمهد لهم سبيل الوصول إلى الخلافة.

إن الخليفة أبا العباس لم يقض على أبي سلمة حال كشف خيائنه ولعل ذلك يعود إلى أن أبا العباس كان قد أيقن أنه لم يكن من الممكن القضاء على الخلال في حينه لسعة نفوذه وسطوته السياسية؛ لذلك أبقاء وزيراً حتى تحين الفرصة المناسبة للتخلص منه، كما أنه كان يتمتع بهيبة كبيرة بين أنصار الدعوة العباسية.

لقد كانت مدة انفراد الخلال بالسلطة الفعلية إلى أن بويغ أبو العباس شهرين ونصف، قام خلالها بإجراءات زادت من استياء أبي العباس عليه، فقد استأثر أبو سلمة بالسلطة، وقام بتعيين القواد والعمال دون الرجوع إلى الخليفة، فعين أبا الجهم على ديوان الجند وأبا غانم عبد الحميد الربيعي على الشرطة وعبيد الله بن بسام على الحرس، وعمروية الزيات على حجابته، والمغيرة بن الريان على الخراج، كما أنه فرق عماله على السهل والجبل، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ وترد إليه وبعث إلى فارس عمالاً من قبله.

إضافة إلى ذلك فإن منصب الخلال بصفته وزيراً لآل محمد لم يكن مديناً به لأبي العباس مما حدا بالخلال إلى الشعور بأنه ليس للخلافة أي فضل في

تبوئه هذا المنصب مما جعله يشعر بالاعتداد بنفسه، قال ابن قتيبة: وكان أبو سلمة يظهر الإدلال والقدرة على أمير المؤمنين ويظهر من هذا النص أيضاً أن أبا سلمة الخلال كان يفتخر أمام الخليفة بقدرته وقوته ونفوذه، كما أنه كان ينفذ الأمور بمفرده دون مشاورة أبي العباس، ففي رواية أنه كان ينفذ الأمور من غير مؤامرة، كل هذه الأمور جعلت الخليفة يخاف من نفوذه الذي أصبح يتعاضم يوماً بعد يوم، فكان من اللازم قتله والتخلص من خطره.

٣- مقتل الخلال:

بالرغم من أن الخليفة أبا العباس قبل اعتذار الخلال، لكنه فسي حقيقة الأمر لم يغفر له ما فعله كما أثبتت الأحداث فيما بعد، فقد أمهله دون أن يهمله. تؤكد روايات تاريخية أن أبا مسلم الخراساني هو الذي أشار على الخليفة بضرورة التخلص من الخلال، فيشير المسعودي أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس كتاباً يشير فيه عليه بقتل أبي سلمة، ويقول فيه: قد أحل الله لك دمه لأنه قد نكث وغير وبدل، وكان رد أبي العباس في حينه: ما كنت لأفتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي لا سيما مثل أبي سلمة، وهو صاحب الدعوة، وقد عرض نفسه، وبذل مهجته، وأنفق ماله، وناصح إمامه، وجاهد عدوه.

لقد كان أبو العباس بارعاً في رده على أبي مسلم، ولعله يريد أن يعرف أبا مسلم أنه ليس من شأنه أن ينتقم ممن أخلص للدعوة العباسية وبذل جهده للقيام بنصرتها، وأنفق ثروته العريضة من أجل الدعوة ونجاحها، في وقت كان فيه العباسيون في قلة من الأنصار والأعوان، ويبدو أن الخليفة برده هذا لم ينس أن أبا سلمة كان له أنصار يغضبون له، وقد يثورون من أجله.

ويشير المسعودي إلى أن أبا مسلم عندما رأى أن أبا العباس لم يستجب لطلبه، كتب إلى أبي جعفر أخي أبي العباس، وإلى داود بن علي عمه، وطلب منهما أن يقابلا أبا العباس وأن يثيروا عليه بضرورة التخلص من أبي سلمة؛ لأنه أصبح خطراً على الخلافة والدولة معاً، أما أبو العباس فإنه رفض ذلك بقوله: ما كنت لأفسد كثير إحسانه وعظيم بلائه، وصالح أيامه، بزلة كانت فيه، وهي خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الإنسان. ويبدو أن الخليفة أراد التريث في قتل أبي سلمة، أما رأي أبي جعفر المنصور وعمه داود بن علي فكان الإسراع بتنفيذ الأمر، إذ أشارا على أبي العباس بذلك، ولكنه رفض الطلب معللاً رفضه بأنه قد يكون ما أشار به أبو مسلم خدعة سياسية، القصد منها تأليب قلوب الناس عليه، وأعلن الخليفة لأصحابه بأنه يرغب أن يكون قتل أبي سلمة على يد أبي مسلم نفسه، ويؤيد هذا ما ورد من قول اليعقوبي، وكره أبو العباس أن يوحش أبا مسلم بقتله أو يوجد سبيلاً إلى الاحتجاج به عليه.

كما عزم الخليفة على اتخاذ خطوة سياسة بارعة الهدف، فقد أراد أن يستوثق من أن أبا مسلم لم يكن له دخل فيما فعله أبو سلمة، ففي رواية تاريخية أن جماعة كانوا يسمرون عند الخليفة، وقد ذكروا أموراً كثيرة، منها أمر انحراف الخلال، فقال أحدهم: "ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم". فلم يتحكم أحد من الحاضرين، فقال الخليفة: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم أنا ليعرض بلاء إلا أن يدفعه الله عنا". وقد شاور الخليفة أخاه الأمير أبا جعفر عبد الله بن محمد، فقال له: ما ترى؟ فقال أبو جعفر: الرأي رأيك، فقال أبو العباس: "ليس منا أحد أخص بأبي مسلم منك فاخرج إليه حتى تعلم ما رأيه، فليس يخفى عليك، فلو قد لقيناه، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا، وإن لم

يكن عن رأيه طابت أنفسنا". ويظهر من ذلك أن أبا العباس لم يجد أفضل من أخيه أبي جعفر ليوجه لحل هذه المشكلة، فاستدعاه وشاوره في الأمر.

وفي رواية للبلاذري تشير إلى أن أبا جعفر المنصور قال: دعاني أبو العباس فذاكرني أمر أبي سلمة، فقال: ما أدري لعل الذي كان منه عن رأي أبي مسلم ومالها غيرك، أخرج إلى أبي مسلم مهنئاً بما وهب الله لنا وينجح سعيه فيما قام به من أمرنا وخذ البيعة عليه وأعلمه بما كان من أمر أبي سلمة واعرف رأيه، وعرفه الذي نحن عليه من شكره ومعرفة حقه، من ذلك يظهر أن أبا العباس كان قد سند لأخيه أبي جعفر مهمتين الأولى أخذ البيعة على أبي مسلم ومن معه، والثانية لقاءه والتعرف على رأيه في قضية انحراف أبي سلمة الخلل وذلك ليضمن ولائه أولاً، وليكشف في كوامن نفسه وليتعرف على موقفه ثانياً.

وحين استعد أبو جعفر للسفر إلى خراسان أرسل معه أبو العباس كتاباً لأبي مسلم جاء فيه: "أنه لم يزل عن رأي أمير المؤمنين وأهل بيته إلا إحسان إلى المحسن والتجاوز عن المسيء، ما لم يفسد دينار وأن أمير المؤمنين قد وهب جرم حفص بن سليمان لك، وترك إساءة إحسانك إن أحببت ذلك". ويبدو أن باطن الكتاب كان حث أبي مسلم على قتل أبي سلمة، وفي رواية أخرى أن أبا العباس شرح في الكتاب الذي أرسله إلى أبي مسلم ما جرى من أبي سلمة من سوء التصرف، ومن محاولته تأخير البيعة لأبي العباس وذلك من أجل صرف الخلافة للعلويين، ويقول البلاذري: "كتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه ونكت بيعة الإمام".

وفي أثناء رحلة أبي جعفر إلى خراسان، وجد أنه كلما مر بمدينة أحسن حاكم تلك المدينة استقباله، وجهزه سريعاً وودعه ليوصل رحلته إلى أبي مسلم

فازدادت شكوكه واشتد به الخوف ورأى أنه من الواجب أخذ الحيطة والحذر، فحين وصل أبو جعفر إلى الري طلب منه واليها أن لا يبقى في المدينة بأمر أبي مسلم وعليه أن يسرع للوصول إلى مرو، ولما وصل نيسابور، طلب منه واليها نفس الطلب مبرراً ذلك بأنه مكان غير آمن لكثرة الخوارج في الإقليم، فلما كان على نحو فرسخين من مدينة مرو، حيث يقيم أبو مسلم خرج أبو مسلم للقاءه ومعه الكثير من أهل خراسان، ويقول المنصور: فلما دنا مني أقبل يمشي إليّ، حتى قبل يدي، فقلت: أركب، فركب فدخل مرو، فنزلت داراً فمكنت ثلاثة أيام، لا يسألني عن شيء، ويبدو من ذلك أن المنصور عاوده الخوف والحذر مرة أخرى، وفي اليوم الرابع ذهب أبو مسلم إلى الدار التي يقيم فيها أبو جعفر، وسأله: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: فعلها أبو سلمة أنا أكفيكموه.

ويشير ابن أعثم الكوفي إلى المحاورة التي جرت بين أبي جعفر وأبي مسلم، فيقول: "قال أبو جعفر لأبي مسلم: إنك اليوم منا بالمكان الذي علمت وإنا نشكو إليك أبا سلمة حفص بن سليمان فإنه قد شمخ بأنفه على أمير المؤمنين حتى أنه ما بعد الخلافة بشيء وأنه يعترض علينا اعتراضاً يجل عن الوصف، ولا والله ما يمنع أمير المؤمنين من الإساءة والوقوف عليه إلا عصبتك.. فتغير وجه أبي مسلم عند سماعه لهذا الكلام ثم قال: ما أنا أذنت لأمر المؤمنين، ولك فيه فاصنع ما أحببتما فإنما أنا عبد من عبيد أمير المؤمنين، وأهل خراسان سامعون عبيد السمع والطاعة.

ومن الجدير بالذكر أن أبا مسلم لما وصله كتاب الخليفة أبي العباس أجابه بكتاب يشير عليه فيه بقتل أبي سلمة، وقد جاء في الكتاب: "إن كان رأيك منه ريب فاضرب عنقه".

ونتيجة لما أشار به أبو مسلم على أبي العباس، نجد أم عم الخليفة داود ابن علي قد تراجع عن موقفه السابق، وقام بتوجيه النصيح والإرشاد إلى الخليفة أبي العباس حيث قال له: "لا تتول قتله فتخبث نفس أبي مسلم ويحتج بذلك عليك، ولكن أكتب إليه فليوجه من يقتله". ويبدو أن الخليفة أبا العباس سمع نصيحة عمه له وأخذ بها، ففي رواية للبلاذري تشير إلى أن أبا العباس كتب لأبي مسلم: "أنت أولى بالحكم فيه فابعث إليه من يقتله". ونتيجة لذلك وجه أبو مسلم مرار بن أنس الضبي لقتل أبي سلمة. وقد وصل مرار قبل ثلاثة أيام من قتله لأبي سلمة. أما أبو العباس فقد اتخذ خلال هذه المدة خطوة بارعة، حيث أرسل منادياً ينادي بالكوفة: "إن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة". ويبدو أن أبا العباس أراد أن يظهر للناس رضاه عن أبي سلمة واطمئنانه إليه حتى لا يتهم بقتله حين يقتل، وحتى لا يغضب أنصاره فيتخذوا من قتله سبباً لوقوفهم من أبي العباس موقفاً عدائياً في وقت هو في أشد الحاجة إلى الاستقرار، ثم دعاه قبل مقتله بيوم، فخلع عليه، وكان يسمر عنده، فخرج ليلته تلك يريد الانصراف إلى منزله، وقد كمن له مرار بن أنس على طريقه، وقد كان من مرار جماعة من أصحابه فقتلوه، وكان ذلك في رجب سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.

ثالثاً: مناورات أبي مسلم الخراساني لتوسيع سلطته

لقد اختلفت الروايات التاريخية فيما بينها حول أصل ومنشأ أبي مسلم الخراساني فعلى الرغم من الدور الذي قام به أبو مسلم في الدعوة العباسية إلا أن هذه الشخصية ظلت غامضة، أما أصله فقد اختلفت المصادر فيما بينها حول ما إذا كان عبد أو مولى ولكن أغلبها يشير إلى أنه من أصل فارسي، وهو الأرجح. فقد ولد في قرية قرب أصبهان من أب فارسي وأم جارية فارسية،

وأن بعض المصادر تحدد تاريخ مولده في سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، وقيل سنة ١٠١هـ/٧١٩م.

انتقل مع أمه من أصبهان إلى قرية (خطرنية) وهي قرية من قرى الكوفة في أول شبابه، حيث صادفت أن سجن بعض العجليين في سجن الكوفة بتهمة ما، وعمل على خدمة آل العجلي في السجن، وهناك التقى لأول مرة مجموعة من نقباء بني العباس عندما زاروا آل العجلي في السجن فأعجب به الدعاة العباسيون واسترعى انتباههم لما رأوا فيه من كفاية وأدب وفطنة، وقد مال هو إليهم أيضاً فكسبوه إلى دعوتهم. وأخذوه معهم وأهدوه إلى زعيم الدعوة العباسية إبراهيم الإمام، فأعجب بذكائه وقدراته فأصبح مولى له فاستمر أبو مسلم في معية إبراهيم وبدأت مقدرته حتى أن إبراهيم كان يقول عنه هذا عضلة من العضل.

وفي رواية أن إبراهيم الإمام هو الذي سماه بعبد الرحمن بن مسلم وكناه أبا مسلم، أما عن نسبه أبي مسلم الخراساني فقد اختلف فيه أيضاً ف قيل من أصبهان وقيل من خراسان، وقيل من العرب، وقد ادعى هو أنه عربي ورتب لنفسه نسباً، وذلك عندما قوي أمره ادعى أنه ابن سليل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أي نسب نفسه إلى آل البيت العباسي، ولكن ادعاه هذا جاء متأخراً.

ويرى العبادي أن أبا مسلم أصطنع لنفسه هذا الأصل العربي لغرض خطير في نفسه، فقد صار يملك من القوة والنفوذ في خراسان ما يمكنه من تحقيق أطماعه في السلطة، ولعله يستطيع أن يتبوأ أعلى المناصب ولكن كانت تنقصه الشرعية في الحكم لتحقيق مآربه، إذ لا يتأتى ذلك إلا أن يكون من آل البيت.

لقد لقب أبو مسلم نفسه بالخراساني، ويبدو أن هذا تدبير من إبراهيم الإمام، حيث سماه عبد الرحمن بن مسلم وكناه (أبو مسلم) لدلالة على إسلامية الدعوة، ويذكر أن أبا مسلم لقب نفسه بالخراساني نسبة إلى خراسان كلها، ولم ينسب نفسه إلى قبيلة أو عشيرة أو مدينة كما هو الأسلوب الجاري آنذاك، وذلك أن الثورة مثل فيها أبو مسلم الإمام إبراهيم هي ثورة إسلامية لكل أهل خراسان عربها ومواليها.

١- دورة السياسي وعلاقته بالخليفة أبي العباس:

كان أول اتصال لأبي مسلم بالدعوة العباسية حين أصبح مولى لإبراهيم الإمام وبدأ يحمل كتبه إلى كبير الدعاة العباسيين، ماهان بن كثير في خراسان، وقد كانت هذه المرحلة الأولى.

أما عن المرحلة الثانية فقد برز فيها أبو مسلم قائداً عسكرياً، وذلك عندما قام إبراهيم الإمام بإرساله ممثلاً عنه إلى الشيعة العباسية بخراسان، وأوصى شيوخ الدعوة هناك به خيراً، فتمكن بالتعاون مع النقباء العرب من السيطرة على الوضع في وقت قصير وقلب موازين القوى في المنطقة لصالح الثورة العباسية.

إن أبا مسلم الخراساني كان من جملة رجالات الدعوة العباسية الذين اعتمد عليهم الخليفة أبو العباس في توطيد حكمه، ولم ينكر الخليفة أبو العباس الدور الذي قام به أبو مسلم في الدعوة العباسية، وفي تأسيس الدولة العباسية، فقد قربه إليه وأعطاه ثقته، ويبدو وأن من الأسباب التي كانت وراء ذلك هو اعتراف أبي العباس بفضل أبي مسلم الخراساني عندما استعان به للتخلص من

أبي سلمة الخلال الذي حاول قبل بيعة أبي العباس بالخلافة نقل الخلافة إلى العلويين.

والسبب الآخر والأهم هو النفوذ الكبير الذي تمتع به أبو مسلم في خراسان قبيل بيعة أبي العباس بالخلافة وبعدها، فقد التف حوله الكثير من أهل خراسان فصارت له سلطة وكلمة مطاعة بينهم، فأصبح أبو العباس يحسب له ألف حساب إذ أنه بقي الرجل القوي الوحيد لاسيما بعد أن تخلص أبو مسلم من منافسه القوي أبي سلمة الخلال، ومنافسيه الأقوياء من العرب في خراسان وهم كثرة، وبهذا الصدد تشير الروايات أن أبا مسلم كان معتداً بشجاعته وقوته.

لقد أصبح أبو مسلم الخراساني أقوى شخصية سياسية في خراسان بل في بلاد فارس، وحين عينه الخليفة أبو العباس والياً على خراسان كان هذا التعيين بمثابة اعتراف بأمر واقع، فيلاحظ أن أبا العباس قام بتوزيع الولايات المختلفة على أقاربه، ولم يول أحداً غيرهم سوى أبي مسلم الخراساني فقد ولاه خراسان، وهذا طبعاً يفسر المركز القوي الذي أصبح فيه أبو مسلم.

ويرى الجومرد أن أبا مسلم شعر منذ بداية الأمر بضعف الخليفة أبي العباس اتجاه قوته، وبضخامة شخصيته عنده، فراح بدهائه ومكره يندفع نحو إتمام ما كان يحلم به، من أن خراسان داره وفي حوزته، فقد اغرق أبو مسلم عاصمة الخلافة بجنده وأحاط الخليفة بحرس من عنده، وملاً قصره بالعيون والأرصاد حتى بات أبو العباس يشعر أنه يستظل بسلطان أبي مسلم، وأنه لا بد من استشارته بكل ما يصنع، ومشى على هذه السياسة حقبة من خلافته.

لقد كان أخو الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد غير راض عن تصرفات أبي مسلم الخراساني، حيث أن أبا جعفر كان أكثر العباسيين حذراً من أبي مسلم وتوجساً منه، وأن أسباب ذلك تعود قبل كل شيء إلى خوفه من أن

يتمرد عليهم ويخرج عن طاعتهم، وفي رواية أن أبا جعفر سأل سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي عن رأيه في أبي مسلم؟ فأجاب سلم: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»^(٥). فقال أبو جعفر: "حسبك الله أبا أمية، لقد أودعتها إزناً واعية".

لقد كان أبو مسلم يتدخل في شؤون الدولة، إذ أن أغلب المؤرخين يتفقون على أن أبا الجهم بن عطية الباهلي كان عيناً لأبي مسلم في البلاط ينقل إليه جميع ما يجري، يقول ابن قتيبة: "وكان أبو الجهم بن عطية عين أبي مسلم على أبي العباس فكان يكتب إليه بالأخبار، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون رأي أبي مسلم". ويؤيده في ذلك الطبري، وأشار اليعقوبي إلى ذلك بقوله: "وكان الغالب عليه أبو جهم بن عطية". أما الجهشيارى فيقول: "وكان أبو الجهم بن عطية ينوب عن أبي مسلم يحضره أبو العباس ويخلفه". ومن هذه الروايات يظهر أن أبا الجهم كان ينقل جميع ما يجري في قصر الخلافة إلى أبي مسلم.

وتبدو قوة أبي مسلم في أنه لجأ إلى التخلص من الرجال الكبار، حتى تبقى له السيطرة وحده، فقد تخلص أولاً من أبي سلمة الخلال الذي كان أول وزير لأبي العباس، ثم أشار على أبي العباس بقتل يزيد بن عمر بن هبيرة، فقد كتب إلى أبي العباس يقول: "إنه قل طريق سهل تلقى فيه حجارة إلا ضر ذلك بأهله، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة".

٢- توسع سلطة أبي مسلم ونفوذه في خراسان:

لقد كان على أبي مسلم الخراساني أن يثمن الثقة التي وضعها فيه الخليفة، ولكنه على العكس استغل ذلك وبدأت العقدة الفارسية تظهر في تصرفاته

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

وسياساته اتجاه رؤوس العرب وكبار الدعوة في خراسان أولاً، واتجاه الخلافة العباسية في بغداد ثانياً.

فعندما عينه الخليفة أبو العباس على خراسان عمل على التخلص من جميع منافسيه من الدعاة وشيوخ القبائل ومنهم سليمان بن كثير الخزاعي، الذي كان وراء كل عمل مثمر قامت به المنظمة السرية الهاشمية في خراسان، وقد كان الصراع قد نشب بينه وبين أبي مسلم قديماً ولذلك كان لابد أن تظهر الحزازات مرة ثانية بعد نجاح الثورة حيث أن ولاية خراسان لا تحتمل بقاء الاثنين معاً.

لقد برر أبو مسلم قتله سليمان بن كثير بأنه كان يشك في نوايا سليمان ويتآمره ضد السلطة، وأنه قتله مستنداً بذلك على أوامر إبراهيم الإمام له، إذ قال له (أي لسليمان): أتُحفظ قول الإمام لي: من اتهمته فاقتله؟ قال: نعم، قال: فأني قد اتهمتك، قال: ناشدك الله، قال: لا تنشدني الله، فأنت منطوٍ على غش الإمام، ويبدو من ذلك أن أبا مسلم اتخذ من وصية إبراهيم الإمام له ذريعة للتخلص من منافسيه.

وفي رواية أخرى للبلاذري، أن سليمان بن كثير اتصل بأبي جعفر عبد الله بن محمد حين قدومه خراسان واتفق معه على التخلص من أبي مسلم، إذ قال سليمان لأبي جعفر: "إنما كنا نحب إتمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعته، فإذا شئتم قلبناها عليه".

ويمكن القول أنه هناك احتمالين حول سبب مقتل سليمان بن كثير: الأول يعود إلى العداوة الدفينة بين سليمان وأبي مسلم وتآمر سليمان من نفوذ أبي مسلم إضافة إلى أن سليمان كان ينافس أبا مسلم في الزعامة على خراسان لقدمه في الدعوة ولسلطته على القبائل اليمانية والربيعية خاصة، والثاني ربما

يعود إلى أن سليمان كان قد استصغر من شأن أبي مسلم لما وفد إلى خراسان، وذلك حين اجتمع بالكفية، إذ قال لهم: حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا (يعني أبا مسلم) فأجرى فيه الماء). فوصل الخبر إلى أبي مسلم، وقد صادف أن شهد عليه نفر من الناس، بأنه أخذ عنقود عنب أسود وقال: "اللهم سود وجه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود واسقني دمه". وهذا ما يؤكد تنافس الرجلين، وإن أبا مسلم أراد أن يكون الرجل الوحيد القوي في خراسان الذي ليس له منافس. أما الدكتور فاروق عمر فيرى بأنه ربما انتهز سليمان فرصة زيارة أبي جعفر فتشاور معه في أمر التخلص من أبي سليمان، ثم أنه ربما عرف أبو جعفر من سليمان مدى النفوذ والسلطان الذي أصبح فيه أبو مسلم وقتله لعدد من الدعاة العباسيين فحاولوا أن يتداركا الأمر حرصاً منهم على سلامة الخلافة العباسية.

ولابد من الإشارة إلى أن أبا مسلم قتل سليمان الخزاعي دون أخذ موافقة الخليفة أبي العباس والأمير أبي جعفر الذي كان موجوداً في خراسان مما أدى إلى غضبه الشديد عليه، ولكنه كتم ذلك، وهذا يدل على اعتداد أبي مسلم بمركزه وقوة نفوذه بحيث لم يعد يهتم برأي الخليفة أبي العباس بالعراق، فقد اكتفى بأن كتب إلى الخليفة يعلمه بقتله سليمان فلم يجبه على كتابه. مما يدل على غضب الخليفة أبي العباس وعدم رضاه عن أبي مسلم.

٣- الاضطرابات السياسية في خراسان وموقف أبي مسلم:

لقد واجه أبو مسلم حركات عديدة بعضها كانت من تدبير السلطة المركزية والخليفة للقضاء عليه والتخلص من نفوذه المتعظم، وبعضها كانت تمردات ضد سياسته التعسفية أو ضد الخلافة ككل.

ومن هذه التمردات تمرد شريك بن شيخ المهري عام ١٣٣هـ / ٧٥٠م. وهو أحد الدعاة العباسيين، وقد بدأ حركته في مدينة بخارى - أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها - ناقماً على سياسة أبي مسلم الخراساني القائمة على البطش والشدّة والعنف، رافعاً شعار: "ما على هذا اتبعنا آل محمد، على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق". وقد انضم إليه عدد كبير من العناصر المستاءة، ولهذا أرسل أبو مسلم الخراساني القائد الخراساني زياد بن صالح لقتال شريك فتمكن من القضاء على حركته وقتله.

كما أعلن منصور بن جمهور حركته وعصيانه على الخليفة أبي العباس وممثله أبي مسلم الخراساني، وذلك لأن أبا مسلم قام بإرسال والياً على السند، على الرغم من أن الخليفة أبا العباس كان قد عين منصور بن جمهور والياً عليها، لذلك أرسل الخليفة العباسي سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م القائد موسى بن كعب التميمي إلى السند في ١٢ ألف مقاتل، لقتال منصور بن جمهور، فاستطاع أن يقضي على حركة منصور الذي انهزم هو وقسم من أتباعه فمات عطشاً في الصحراء.

لقد استغل الخليفة أبو العباس القائد الخراساني زياد بن صالح الخزاعي، الذي ارتفع نجمه بعد قضائه على حركة شريك المهري للعمل ضد أبي مسلم، وقد شجعه على ذلك التنافس الذي بدأ يدب بين أبي مسلم وزياد.

لذلك يمكن القول أن تمرد زياد بن صالح على أبي مسلم أمر قد دبر في البلاط العباسي لاغتيال أبي مسلم، وذلك حين أرسل الخليفة أبو العباس سباع بن النعمان الأزدي، وأمره باغتيال أبي مسلم إذا سنحت له الفرصة، وفي الوقت نفسه حرض الخليفة زياد بن صالح الخزاعي على إعلان حركته ضد أبي

مسلم، وأرسل له عهده بولاية ما وراء النهر بيد سباع الأزدي فامتثل زياد لهذا الأمر.

وفي سنة ١٣٥-٧٥٢م تمرد زياد بن صالح الخزاعي في بلاد ملو وراء النهر ضد أبي مسلم. ورفع شعار: "إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن وهذا جائر ظالم يسير سير الجبابرة، وإنه مخالف له قد أفسد عليه قلوب أهل خراسان".

ولكن حركته هذه فشلت بعد أن انحاز جماعة من قواده إلى أبي مسلم نتيجة لذلك هرب زياد الخزاعي حتى وصل إلى دهقان بخارى، الذي استطاع أن يقتل زياداً، وقد سلم رأسه إلى أبي مسلم، ولما علم الخليفة بفشل هذه المحاولة، أرسل إلى أبي مسلم مهنئاً بانتصاره على المتمردين ونجاحه في تثبيت نفوذ السلطان العباسي.

وعندما قتل أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي، تمرد عيسى بن ماهان، الذي كان من الأصدقاء المخلصين لزياد الخزاعي، ورفع صوته أمام الناس قائلاً: "إن أمير المؤمنين قد أعظم قتل زياد، وذنم أبا مسلم وأنكر فعله وقال: إنه قتل رجلاً ذا قدم وبلاء حسن في دولتنا وبرئ منه، وقد عهد إلي بعهدي على خراسان".

ويظهر من ذلك أن عيسى بن ماهان كان يهدف من قوله تحريض الناس على أبي مسلم، ثم ادعى أمام الناس أن الخليفة أبا العباس عينه والياً على خراسان بدل أبي مسلم، لذلك تمكن أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلي وبأمر من أبي مسلم أن يقتل عيسى بن ماهان.

وعندما سمع الخليفة أبو العباس بخبر مقتل عيسى بن ماهان استعظم ذلك العمل، وطلب من أبي مسلم قتل خالد الذهلي، ولكن أبا مسلم أرسل جواباً للخليفة يدل على فطنة وذكاء ودهاء، فلم يتخذ أي إجراء بحق خالد الذهلي.

لقد خرج أبو مسلم الخراساني من الأزمة مع الخليفة أبي العباس سلمياً ونجح في قهر جميع منافسين له داخل خراسان، أو الذين أرسلتهم الخلافة للحد من نفوذه والتخلص منه، ولهذا فقد انفسح له المجال لفرض سيطرته ونفوذه على خراسان بأجمعها، وأصبح الشخص الوحيد القوي في خراسان والذي أصبح فيما بعد شوكة في عين الخلافة العباسية.

٤ تدابير الخليفة أبي العباس للحد من اتساع نفوذ أبي مسلم الخراساني:

لقد توطدت سلطة أبي مسلم في خراسان بعد أن تخلص من جميع الشخصيات القوية والطموحة في خراسان وأقاليم للشرق الإسلامي بحيث أصبح زعيم خراسان دون منازع وازدادت سلطاته اتساعاً فامتدت إلى أقاليم بلاد فارس الأخرى حيث اعتقد أن تعيين الولاة من اختصاصه وليس من اختصاص الخليفة، فقد كان له عمال على فارس والمناطق المجاورة، ثم إنه كان يأمر الولاة الذين يرسلهم بطرد الولاة الذين عينهم الخليفة أبو العباس، فقد أرسل أبو مسلم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م محمد بن الأشعث الخزاعي والياً على فارس، وأمره بالقبض على جميع الولاة الذين عينهم أبو سلمة سابقاً، وعمل على قتلهم.

ثم أن أبا مسلم رفض الإذعان لأمر الخليفة حين وجه عمه عيسى بن علي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م والياً على فارس، إذ أوصى محمد بن الأشعث بقتل والي الخليفة، إلا أن محمداً تخرج من ذلك واكتفى بعزل عيسى بن علي، وأخذ

منه يميناً وهو "أن لا يعلو منبراً ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد". وأخبر عيسى الخليفة بذلك، ولم يستطع الخليفة عمل شيء، وأمر عمه بالمقام عنده، فأقام.

وقد تعاضم نفوذ أبي مسلم الخراساني إلى درجة كبيرة، مما أدى إلى التصادم بين سلطة الخليفة ونفوذ أبي مسلم الخراساني، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الخليفة عين منصور بن جمهور والياً على السند سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فقام أبو مسلم بإرسال المغلس العبدى والياً على السند وطخارستان، وهذا يدل على مدى اعتداد أبي مسلم بقوته ونفوذه بإرساله والياً اختاره بنفسه مكان الوالي الذي عينه الخليفة، ودون أخذ موافقة الخليفة.

وقد كانت النتيجة أن تقابل منصور بن جمهور مع المغلس العبدى، فاستطاع منصور قتل المغلس العبدى، ثم أعلن حركته على الخليفة وأبي مسلم -كما ذكرنا سابقاً- من ذلك يلاحظ أن أبا مسلم كان يحاول أن يكون صاحب النفوذ الأوحد في بلاد فارس.

لقد كان أخو الخليفة حازماً تجاه تلك المرونة التي اتبعها أخوه في التعامل مع أبي مسلم، ففي أثناء زيارة أبي جعفر لخراسان رأى ما فعل أبو مسلم بكبار الدعاة العباسيين، ومنهم الشيخ سليمان بن كثير وابنه محمد لمجرد الشك، ودون أخذ موافقة الخليفة وأخيه أبي جعفر الذي كان في خراسان.

لقد أثارت هذه الحادثة مرارة شديدة في نفس أبي جعفر على أبي مسلم وتبدو المرارة التي تركتها تصرفات أبي مسلم واضحة في نفس أبي جعفر من خلال قوله لأخيه أبي العباس حين رجوعه من خراسان: "لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً، فاحتل لقتله قبل أن يفسد أمرك، فلقد رأيته، وكأنه لا أحد فوقه، ومثله لا يؤمن غدره ونكته".

من ذلك يظهر أن المنافسة بين أبي جعفر وأبي مسلم بلغت أوج عظمتها، من خلال إلحاح أبي جعفر على أخيه الخليفة بضرورة التخلص من أبي مسلم، لكن طلبه هذا لم يلق استجابة كافية من الخليفة، ويبدو أن الخليفة رفض قتل أبي مسلم خوفاً من الخراسانيين أنصار أبي مسلم.

وفي عام ١٣٤هـ/٧٥١م خرج أبو مسلم بجيش كبير لغزو سمرقند، وقد أرسل جيشاً بقيادة أبي داود خالد بن إبراهيم وكان من فرسان العرب في خراسان، فقام بغزو ناحية كش، وقد استولى على الذخائر والتحف الصينية المرصعة بالذهب، وقد قدم بها إلى أبي مسلم بسمرقند، أما أبو مسلم فإنه بدوره اختزن هذه الغنائم عنده، ولم يرسل شيئاً منها إلى بيت مال المسلمين، ثم ذهب أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل عدداً من أهل الصغد وأهل بخارى، ثم استخلف زياد بن صالح الخزاعي على تلك البلاد، ورجع أبو داود إلى بلخ، ويرى الجومرد أن أبا جعفر لما علم بهذا الحادث استغله لإثارة الخليفة أبي العباس، وقد نجح في ذلك، إذ ملأ سمعه قبل هذا من أعماله وشروره على الدولة إن طال به المدى، كما ذكرنا سابقاً، ويضيف الجومرد ويقول: لأول مرة نرى الخليفة أبا العباس يعمل ضد أبي مسلم، وقد دبر الخليفة أبو العباس مؤامرة لاغتيال أبي مسلم سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م باتباع الحيلة، ولكن فشلت تلك المؤامرة.

وبمرور الأيام بدأ أبو مسلم يزداد في خراسان سلطاناً وجاهاً، وكلمما توطد سلطانه بخراسان زاد تحسب العباسيين منه، يقول الجهشيارى: "قتلت وطأة أبي مسلم على أبي العباس، وكثر خلافه إياه ورده لأمره"، لذا فقد حاول الخليفة أبو العباس التضييق على أبي مسلم والحد من نفوذه وتقليل سلطانه، حيث اتفق مع أبي الجهم بن عطية وقال له: أكتب إليه، وأشر عليه بالاستئذان

في القدوم علينا لتجديد العهد بنا"، فكتب إليه أبو جهم بذلك، فقبل رأيّه، وكتب مستأذناً، فمنعه أبو العباس وقال له: خراسان لا تحتمل مفارقتك لها، وخروجك عنها، وتركه شهراً ثم قال لأبي جهم: أعد الكتاب بمثل ذلك فأعاده فكتب أبو مسلم مستأذناً، فمنعه، وفي المرة الثالثة أذن له ويبدو أن هذه المناورة جرت لجس نبض أبي مسلم ومعرفة ولائه وإحساسه اتجاه الخلافة وفيما إذا كان راغباً بزيارة العراق مقر الخليفة أم عازفاً عن ذلك متوجساً منه.

ويرى شلبي أن رفض أبي العباس لرغبة أبي مسلم مرتين كان المقصود به بعث الطمأنينة في نفس أبي مسلم، وجعله يحس بالرضا عنه وعن سيرته بخراسان وعدم حرص الخليفة على إبعاده عنها، وقد أدت هذه الخطة فعلاً إلى زرع الثقة والأمان في نفس أبي مسلم اتجاه الخليفة أبي العباس وأبعدت عنه المخاوف والشكوك، إذ كتب فعلاً إلى الخليفة أبي العباس بأنه سيمر على العراق وهو في طريقه إلى الحج في تلك السنة.

ففي سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م أراد أبو مسلم الحج، فطلب من الخليفة أبي العباس الإذن له بالقدوم للحج، فأذن له أبو العباس بذلك، ولكن يبدو أن الخليفة لم يأمن جانب أبي مسلم وتحركاته، إذ تدارك الموقف واحتاط للأمر، فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم بأن يجلب معه ٥٠٠ من الجند، فأجابه أبو مسلمة: "أني قد وترت الناس ولست أمن على نفسي". فلذلك اضطر الخليفة أبو العباس أن يجبه، فرد عليه: "أقبل في ألف فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل المعسكر"، ولكن من ذلك لم يطع أبو مسلم أوامر الخليفة وهذا طبعاً يدل على اعتداده بقوته وسطوته، إذ جاء في ٨٠٠٠ من الجند ووزعهم على الطريق بين نيسابور والري، وعندما وصل أبو مسلم العراق كان معه ١٠٠٠ من الجند ومعه الأموال والخزائن، فأمر الخليفة أبو العباس قواده وسائر الناس أن يتلقوه

وأن يحسنوا استقباله، أما أبو العباس فإنه بدوره أكرمه غاية الإكرام، ويبدو أن الخليفة أبا العباس حدد لأبي مسلم عدد الجند الذين يقدم بهم ليقبل من جلال موكبه، وعندما دخل أبو مسلم على أبي العباس طلب منه الإذن بالحج فأجابته أبو العباس: "لولا أن أخي أبا جعفر قد عزم على الحج لوليتك الموسم"، ويبدو أن أبا مسلم غضب لذلك إذ همس قائلاً: "أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التي حججت فيه". ثم إن أبا مسلم عد هذا العمل امتهاناً لقدره، متناسياً مكانة أبي جعفر باعتباره ولياً للعهد.

هناك احتمالان للإجراء الذي قام به أبو العباس ضد أبي مسلم، الأول أن أبا جعفر عندما سمع بأن أبا مسلم سيحج هذه السنة طلب من أخيه أن يكون هو الأمير على الحج لتلك السنة، وذلك لموقف أبي جعفر المعادي من أبي مسلم وللمنافسة الحادة بين هاتين الشخصيتين حيث كانت المنافسة بين الاثنين تدور في الخفاء وهي منحصرة في البلاط العباسي فقط، والاحتمال الثاني حينما استأذن أبو مسلم أبا العباس في القدوم عليه للحج وأذن له، أدرك أنه من الطبيعي أن يكون أبو مسلم أمير الحج في ذلك العام، ولكنه لم يرد أن يمنحه هذا الشرف لأن إمارة الحج كانت شرفاً لمن يتولاها، ويبدو أن هذا الرأي أرجح، خاصة أن أبا العباس رأى أن إمارة الحج ستؤدي حتماً إلى رفع نفوذ أبي مسلم ومكانته بين الناس أكثر من السابق، فندب أخاه أبا جعفر ليكون أميراً على الحج.

ويبدو أن زيارة أبي مسلم للبلاط العباسي وهو في طريقه إلى مكة كانت لغرض ما في نفس أبي مسلم، إذ أنه كما يؤكد الدكتور فاروق عمر أراد أن يظهر قوة نفوذه لرجال البلاط والخليفة، وإلا فليس من المعقول أن أبا مسلم فشل في إدراكه لحراجه الموقف السياسي، وعلاقته بالسلطة المركزية آنذاك.

ولابد من الإشارة إلى أن أبا جعفر -كما ذكرنا سابقاً- قام بتحريض أخيه الخليفة أبي العباس ولمرات عديدة ضد أبي مسلم، وأشار عليه بضرورة التخلص منه فقد عده خطراً على الخلافة العباسية، وقد وجد أبو جعفر هذه المرة ومن خلال زيارة أبي مسلم للبلات العباسي أن الفرصة أصبحت مناسبة للتخلص من منافس خطير، إذ أنه أصبح الرجل الوحيد القوي في الدولة آنذاك والذي يخشى نفوذه.

فقام أبو جعفر بتحريض أخيه أبي العباس على ضرورة قتل أبي مسلم والتخلص منه، فقال أبو جعفر لأخيه العباس: "يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة". ولكن أبا العباس ذكر أبا جعفر بجهود أبي مسلم في الدعوة وفي تأسيس الدولة، وما كان يتمتع به من نفوذ في نفوس أهل خراسان، حيث قال: "يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه"، فقال أبو جعفر: "إن كان بدولتنا والله لو بقيت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة". فسأله أبو العباس إذن كيف السبيل إلى قتله فأجابه: "إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك وخلت فتغفلته فضربت من خلفه ضربة أثيت بها على نفسه"، قال أبو العباس: "فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم". قال: "ليؤول ذلك كله إلى ما تريد، ولو علموا أنه قتل تفرقوا وذلوا". قال أبو العباس: "عزمت عليك ألا كفت عن هذا". قال: "أخاف والله، إن لم تتغده اليوم يتعشاك غداً". قال: "فدونكه، أنت أعلم".

لقد كادت عملية اغتيال أبي مسلم أن تتم، لو لا أن الخليفة أبا العباس عدل عن تنفيذ فكرة قتل أبي مسلم في اللحظة الأخيرة، إذ أوعز إلى أخيه بترك الفكرة وعدم تنفيذها.

ويذكر الدكتور العاني بأن رأي الخليفة أبا العباس أصوب من رأي أخيه أبي جعفر في هذه المسألة إذ ساوره إحساس بإرجاء قتل أبي مسلم إلى ظرف أكثر ملاءمة من الظرف الذي هو فيه، إذ رأى ببعد نظره أن التسرع في هذا الموضوع بالذات في ذلك الظرف الحرج قد يترتب عليه من القلاقل ما يعرض أمن الدولة وسلامتها للخطر، ويبدو أن الخليفة أبا العباس كان جريئاً في موقفه هذا لأن الدولة في بدايتها وبحاجة إلى من يؤازرها في ذلك الظرف العصيب.

الفصل الرابع: تثبيت سلطة الخلافة العباسية والقضاء على المنافين

أولاً: تمرد الراوندية

بعد تأسيس الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٤٩م أعلن الخليفة أبو العباس في خطبته التي ألقاها في الكوفة أن الدولة سوف تسير على كتاب الله وسنة رسوله، كما هاجم الغلو والتطرف في العقيدة من أية جهة كان ناعثاً إياه بالسبئية إذ قال: "وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة من فشاها وجوههم بم ولم أيها الناس". فكان أول رد فعل هو تمرد الراوندية فرقة ظهرت على هامش الدعوة العباسية في بلاد فارس والعراق، واشتد نشاطها، وكان أخطر أساليبهم للتسلل هو ترويج المعتقدات الفارسية القائلة بانتقال الروح من شخص لآخر، مدعين أن الروح الإلهية حلت في عدة أشخاص وانتقلت أخيراً إلى أبي مسلم الخراساني.

لقد انقسمت الراوندية إلى عدة فرق وسميت بمسميات عديدة منهم من استمر في ولائه وطاعته للعباسيين وهؤلاء هم (العباسية)، ومنهم من تحرك ضد العباسيين ونقلوا ولائهم لغيرهم، من هؤلاء فرقة ظهرت في خراسان في أوائل عهد الخليفة أبي العباس، إلا أن أبا مسلم الخراساني استطاع القضاء على حركتهم.

وهناك خبر ذكره الطبري يدل على أن جماعة من الراوندية وقفت إلى جانب زياد بن صالح الذي خرج عن طاعة الخليفة أبي العباس سنة

١٣٥هـ/٧٥٢م، مما دفع أبو مسلم الخراساني الذي كان يهدف إلى تثبيت مكانته في الدولة العباسية إلى تتبعهم وقتلهم.

ومن فرق الراوندية، فرقة (الراوندية الخالص) الذين كانوا من أوائل من انضموا إلى الدعوة العباسية، إذ انقسمت هذه الفرقة بعد وفاة الخليفة أبي العباس إلى ثلاث فرق:

١- فرقة اعتقدت بإمامة أبي العباس ثم أبي جعفر وبعده المهدي.

٢- فرقة نقلت الإمامة من أبي العباس إلى أبي مسلم وانقسمت هذه الفرقة إلى شعبتين:

أ- الأبو مسلمية: وهؤلاء أكدوا أن أبا مسلم لم يموت وأنه حي تجسدت فيه روح الإله، وأنه نبي زرادشت وزعموا أنه سوف يعود إلى الحياة الدنيا.

ب- الرزامية: نسبة إلى زعيمهم رزام بن سابق، اعتقد هؤلاء بموت أبي مسلم، وأفرطوا في موالاته، ونسبوا إليه المعجزات والخوارق.

٣- الفرقة التي أسسها عبد الله الراوندي وتعد أخطر فرق الراوندية، وهؤلاء جعلوا أبا جعفر المنصور إلهاً وأن أبا مسلم نبيه، وزعموا أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور.

وبعد وفاة الخليفة أبي العباس استمر الراوندية الغلاة في نشاطهم وراء الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور، إذ تفرعت من فرق الراوندية الحركات الدينية السياسية التي انتشرت خلال العصر العباسي الأول في بلاد فارس والتي سميت بالخرمية، إلا أن السلطة العباسية استطاعت أن تسحقها وتتخلص من خطرها.

ثانياً: تصفية عبد الله بن علي العباسي

يعد عبد الله بن علي من أبرز الشخصيات العسكرية والسياسية، فقد تولى قيادة الجيش العباسي الذي انتصر على مروان بن محمد في معركة الزاب وجاء تعيينه والياً على الشام بسبب قيامه بتثبيت الجبهة الأموية في الشام من جهة ولملاحقته مروان بعد انهزامه من الجهة الأخرى، فضلاً عن قيامه بتثبيت حكم العباسيين في بلاد الشام طيلة السنوات الأولى من الحكم العباسي، فهو الذي قام بتصفية الأمويين وأتباعهم في الشام، لذلك فليس من المستغرب أن يكون عبد الله بن علي طموحاً في الوقت الذي يشرف على جيش خراساني قوي ومعه قواد يؤيدوه رغبة أو رهبة، فما إن وصلتته الأخبار عن موت الخليفة أبي العباس عام ١٣٦هـ/٧٥٣م وتعيين أبي جعفر المنصور بدله، امتعض وأعلن نفسه خليفة، وادعى بأن أبا العباس كان وعده بالخلافة حين أرسله لتعقب مروان بن محمد والقضاء عليه.

ولابد من الإشارة بأن الروايات التاريخية لا تؤيد ادعاءه، وإنما اتخذ ذلك مبرراً لتحقيق طموحاته الشخصية، في حين أن أغلب العباسيين عبروا عن مخاوفهم من طموحاته.

لقد استغل أهل الشام والجزيرة التصدع الذي حدث في البيت العباسي، لذلك بادروا إلى تأييد حركة عبد الله العباسي بقوة وحماس بالرغم من أنه مارس ضد الشاميين صنوفاً من الحزم والشدّة عند تعقبه مروان بن محمد، ولعل السبب في تأييدهم لحركته أنهم كانوا يأملون في استرجاع امتيازاتهم التي فقدوها بانتقال مركز الحكم إلى العراق من جهة، وانتقاماً من الدولة الجديدة وقادتها من الجهة الأخرى، ثم إن عبد الله بن علي رحب بتأييد أهل الشام،

ويقول ابن قتيبة: "قرب عبد الله بن علي موالى بني أمية وأطمعهم". فأخذ في تعيين قاداتهم بمناصب إدارية كعثمان بن سراقة الأزدي الذي عينه والياً على دمشق، وزفر بن عاصم المهلبى عينه والياً على قنسرين، والحكم بن ضبعان عينه والياً على فلسطين.

لجأ الخليفة أبو جعفر المنصور إلى اتخاذ تدابير سريعة وحاسمة لمواجهة حركة عمه عبد الله بن علي فخرج بجيشه خارج الأنبار حيث عسكر في دير الجاثليق وأرسل قوات عسكرية إلى كل من قرقيسيث وهيت، للتصدي لأي قوة عسكرية يرسلها عمه عبد الله بن علي، وأخيراً عين أبا مسلم قائداً عاماً للجيش العباسي لمواجهة الحركة، إن هذا الاختبار كان موفقاً لكون الخليفة قد رغب في إبعاد أبي مسلم عن خراسان مصدر قوته أيضاً.

استمرت الحرب سجلاً بين الطرفين لمدة أربعة أشهر، استطاع أبو مسلم كسب مجموعة كبيرة من الجند الخراساني الذين كانوا مع عبد الله بن علي، وبعد معركة نصيبين انهزم الجيش الشامي وهرب عبد الله بن علي واتجه مع أهل بيته ومواليه إلى البصرة عن طريق مكة، والتجأ عند أخيه سليمان بن علي والي البصرة، وبعد فترة من الزمن تمكن الخليفة المنصور من قتل عمه.

ثالثاً: تصفية أبي مسلم الخراساني

ذكرنا سابقاً بأن أبا جعفر المنصور حاول إقناع أخيه الخليفة أبي العباس بالتخلص من أبي مسلم عدة مرات إلا أنها باءت بالفشل.

وقد لعبت الكراهية بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم دوراً في التخلص منه، فضلاً عن ذلك تأخره في إعطاء البيعة لأبي جعفر بعد وفاة أبي العباس، وهما في طريق الحج، ثم في ظهور نوايا خطرة اتجاه المنصور، وذلك عندما

عرض على ولي العهد الثاني عيسى بن موسى أن يتعاونوا على تحية الخليفة الجديد.

وبعد القضاء على تمرد عبد الله بن علي نوى أبو مسلم الرحيل إلى خراسان، ولكن الخليفة عاجله بإرسال عدة وفود تحثه على مقابلة الخليفة قبل السفر كما أنه أرسل جوائز إلى قادة الجيش بمناسبة الانتصار وطلب من أبي مسلم مقابلته لأمر هام لم يذكره، وهنا كتب أبو مسلم للخليفة رسالة قال فيها: "إنه لم يبق لأمر المؤمنين أكرمه الله عدو إلا أمكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نأفرون عن قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت حربون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك وإن أبيت إلا أن تعطي النفس إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي".

إن هذه اللحظة الحاسمة من العلاقة بين الخليفة وأبي مسلم الخراساني شهدت سلسلة جديدة من المناورات السياسية التي ضمنها رسائل متبادلة بينهما، وبلغت النظر هنا رسالة جديدة أرسلها أبو مسلم الخراساني إلى الخليفة وهي رسالة غريبة في نصها ولكنها قوية السند، وفيها يهاجم أبو مسلم إبراهيم الإمام أخا الخليفة ومفجر الدعوة العباسية ويصفه بالتطرف والانحراف عن الإسلام طمعاً في الدنيا ومكاسبها!! وأنه أباح القتل بالشك في سبيل إنجاح الدعوة العباسية.

ويرى الدكتور فاروق عمر أنه لمن الصعب تصور أبي مسلم الخراساني وهو يكتب مثل هذه الرسالة مخاطباً المنصور ثم يسمح لنفسه بعدها بمقابلة الخليفة، ولعل هذه الرسالة من صنع اليد الشعوبية الفارسية أو أعداء العباسيين الآخرين الذين عبثوا بالتاريخ العباسي وشوهوه ولكن إذا كانت هذه الرسالة

صحيحة استناداً إلى قوة إسنادها (روايتها) فهي تظهر أبا مسلم في حالة نفسية وعصبية لا يحسد عليها خاصة وأنه كان معتزاً بنفسه وبأعماله ولذلك اندفع إلى كتابة هذه الرسالة وهو في حالة شديدة من الغضب.

ولكن الخليفة ظل رابط الجأش مسيطراً على أعصابه حذراً في اتخاذ المواقف، لئلا يجعل أبا مسلم يفلت من قبضته، وقد استطاع في نهاية المطاف، باستغلاله عيسى بن موسى ولي العهد واحد أصدقاء أبي مسلم أن يقنع هذا الأخير بضرورة مقابلة الخليفة.

ولم يجد أبو مسلم الخراساني طريقاً آخر إلا الطريق الذي يوصله إلى الخليفة خاصة بعد أن سد الخليفة في وجهه طريق خراسان بتعيينه والياً جديداً عليها هو خالد بن إبراهيم الذهلي الشيباني وأحد الدعاة العباسيين الذين لهم سجل حافل أثناء الثورة الذي أرسل رسالة إلى أبي مسلم الخراساني يذكره بأن الطاعة خير من المعصية ويحذره من العودة إلى خراسان دون موافقة الخليفة.

وهكذا كان لابد لأبي مسلم الخراساني أن يقابل الخليفة في المدائن لقد كانت المقابلة الأولى بين الخليفة وأبي مسلم ودية وقصيرة، أما في المقابلة الثانية فكان الخليفة قد هياً رئيس الحرس عثمان بن نهيك مع جماعة من الحرس لقتل أبي مسلم بعد أن يأمرهم بذلك، أما ما حدث في المقابلة الأخيرة فيختلف المؤرخون فيه، أن التهمة الرئيسية التي وجهت لأبي مسلم الخراساني هي قتله الدعاة العباسيين في خراسان أمثال سليمان بن كثير الخزاعي والعرب الموالين للثورة أمثال أفلح بن مالك الفزاري وعلي بن جديع الكرمانى حيث قال له المنصور: "لقد قتلت نظراء قحطبة الطائي". كما أنه جابهه بالسؤال المحرج الذي يرقى إلى درجة التمرد على السلطة وهو: "لماذا قررت السير إلى خراسان دون استئذاننا بذلك".

ولم يكن هناك جواب لأبي مسلم الخراساني سوى أن يذكر الخليفة بخدماته فأجابه الخليفة بأن العباسيين بما لهم من مكانة وكفاءة أوصلوا الثورة إلى النجاح وليس لأبي مسلم شيء ولو ذهبت مكانه أمه (جارية) لقامت بما قام به في خراسان.

ويرى الدكتور فاروق عمر بأن قتل أبي مسلم الخراساني كان بسبب تعاضم نفوذه وطموحاته الخطرة في خراسان والمشرق الإسلامي وتمرده على أوامر الخليفة العباسي بالبقاء في الشام ولذلك قال له الخليفة "لقد ارتقيت مرتقباً صعباً".

وحين اعتورت السيوف أبا مسلم الخراساني قال للخليفة: "استبقتي لعدوك"، فقال لهم المنصور: "وأي عدو أعدى لي منك!!" وبموت أبي مسلم الخراساني قطع الخليفة رأس الخيانة ويدها التي لو استطالت لهددت كيان الخلافة وسلطتها وخاصة في الأقاليم الشرقية، وقد عبر الخليفة عن رأيه هذا حين أجاب عيسى بن موسى الذي فوجئ بقتل أبي مسلم بقوله: "وهل كان لك سلطان مع أبي مسلم".

كما أن المنصور خطب في الناس بعد مقتل أبي مسلم موضحاً خطره والأسباب التي دعت إلى التخلص منه فقال: "أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في إثر يده أو فلتان لسانه، إنا لن نبخسكم حقوقكم، إن أبا مسلم بايعنا وباع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه".

رابعاً: الحركات المجوسية العنصرية

حاول التنظيم العباسي في خراسان أن يكسب أتباعاً من سكان الأقاليم الشرقية، قبل الثورة، مستغلين الوضع المتردي الذي كان يعيشه هؤلاء، فأحيوا فيهم أملاً كبيراً إن هم أيدوا الثورة، وبذلك ظهرت من جديد في تلك الأقاليم بعض تعاليم الديانات المجوسية (الزرادشتية والمانوية والمزدكية) متلبسة بثوب إسلامي أحياناً، أو بعبارة أخرى إن تلك التعاليم متطورة عن تلك الديانات بعد تأثرها ببعض تعاليم الدين الإسلامي وبعد نجاح الثورة وتأسيس الدولة وإعلان تمسك العباسيين بالدين الإسلامي، وعملهم بالكتاب والسنة، واعتمادهم على العناصر العربية، قامت تلك العناصر الفارسية بحركات ضد الحكم العباسي محاولة منها لإعادة مجدهم الغابر، وإنهاء الحكم العربي في تلك الأقاليم على أنه يجب أن نشير إلى أن الخطر الحقيقي الذي هدد العباسيين في أيامهم الأولى كان متأتياً من جهة المشرق.

وسنتكلم عن تلك الحركات حسب الأصل الذي تطورت عنه.

١- الحركات الزرادشتية:

أ- حركة بها فريد (١٢٩هـ-١٣١هـ/٧٤٧م-٧٤٩م)

تعد حركة بها فريد أقدم الحركات الدينية السياسية التي ظهرت في خراسان في أواخر عصر الأمويين، وأثناء استفحال الدعوة العباسية هناك، واستمرت بعد تأسيس الدولة العباسية، وصاحب هذه الحركة رجل يقال له بها فريد بن فرددينان، من قرية روى من أبرشهر وكان مجوسياً زردشتياً يصلي الصلوات الخمس بلا سجود، متياسراً عن القبلة وتكهن.

وتشير رواية تاريخية أنه قبل أن يعلن عن نفسه ذهب إلى الصين، وبعد عودته منها جلب معه قميصاً أخضر ناعماً دقيق الصنع، وعند وصوله إلى بلده في خراسان صعد ليلاً إلى قبة أحد المعابد دون أن يراه أحد، فرآه في الفجر أحد الفلاحين ثم تجمع الناس حوله فزعم أنه قدم من السماء حيث شاهد الجنة والنار، وأن الله قد منحه هذا القميص الغريب الذي كان في الجنة.

تحرك بها فريد في نيسابور قبل إعلان الثورة العباسية في رمضان ١٢٩هـ/٧٤٧م ولم تقف قيادة الدعوة العباسية ضده بل على العكس استفادت منه أول الأمر باعتباره عاملاً جديداً يزيد من إضعاف الأمويين في خراسان.

- تعاليمه:

لقد ادعى بها فريد النبوة كما أظهر كتاباً باللغة الفارسية زعم أنه أوحى به إليه، ودعا إلى نوع معدل من الزرادشتية المجوسية، وبشر بأنه خليفة زرادشت الذي اعترف به أنه نبي، إلا أنه رفض بعض تعاليم الزرادشتية وأدخل بعض التعديلات الأساسية في ديانة زردشت مما ينسجم مع مبادئ الإسلام وتعاليمه، ومن تعاليمه الجديدة ما يذكر من أنه أمر أصحابه بترك الزمزمة عند الطعام، وبترك شرب الخمر وأكل الميتة ونطاح الأمهات والبنات والأخوات وبنات الأخ، وهذه الأمور ليست محرمة في التعاليم الزردشتية، وقد أخذ تحريمها من تعاليم الإسلام، ولكنه أمر أتباعه بالسجود إلى عين الشمس على ركبة واحدة.

وفرض بها فريد على أصحابه سبع صلوات منها: صلاة في توحيد الله، بينما الزرادشتية دين ثنوي، وثانيها في خلق السماوات والأرض، وثالثها في

خلق الحيوان وأسباب عيشه ، ورابعها للموت، وخامسها للبعث والحساب،
وسادسها لموطن الجنة والنار، وسابعها لتمجيد أهل الجنة.

ومن تعاليمه الأخرى أنه حدد مهر المرأة بأربعمائة درهم، آخذاً بنظر
الاعتبار الأوضاع المالية في خراسان، ومستغلاً ذلك لزيادة شعبية حركته،
وأمر أتباعه بالامتناع عن ذبح الحيوان حتى يبلغوا سنناً معيناً، وأمرهم أن
يعطي كل منهم سُبُع ما لديه من مال لتصرف على الأعمال العامة مثل تعمير
الطرق وإصلاح القناطر لخير الجماعة.

كما أن بهافريد قال بحلول الروح، وكان من الداعين إلى (مذهب
الرجعة)، وربما كان أهم مبادئه ومعزاه أن الإنسان لا يموت وإنما يختفي في
مكان ما، وأنه إذا مات سيعود إلى هذه الدنيا قبل يوم الدين، وربما كان بها فريد
قد أخذ مبدأ الرجعة من بعض الفرق الإسلامية المتطرفة (الغلاة).

- إخماد حركته:

لابد أن نشير إلى غموض المصادر حول نهاية حركة بهافريد، ولكن
الأرجح أنه قضي عليها في خلافة أبي العباس، على حد قول بعض المؤرخين
المحدثين.

فقد قاوم المجوس حركة بهافريد، وعدوه منشقاً، واجتمع الموابذة
والهرابذة (رجال الدين المجوس) إلى أبي مسلم في نيسابور وشكوا إليه أنه
بهافريد قد أفسد دين الإسلام ودينهم، فأرسل أبو مسلم شبیب بن داخ وعبد الله
ابن سعيد فعرضوا عليه الإسلام، وأسلم وسود، ثم لم يقبل إسلامه لتكهنه فقتل.

ولكن تعاليم بهافريد انتشرت في خراسان خاصة بعد مصرع أبي مسلم الخراساني، حيث يشير ابن النديم نقلاً عن الصوالي إلى استمرار مذهب بهافريد إلى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، ولعل ثبات البهافريديّة على معتقداتهم يعود بعضه إلى اعتقادهم بحتمية رجوع بهافريد، حيث يشير الشهرستاني بأن أتباعه زعموا أنه صعد إلى السماء على حصان، وأنه سوف يعود إلى الأرض لينتقم من أعدائه.

ويمكن القول أن الدوافع وراء حركة بهافريد كان سياسياً أكثر منه دينياً، لأنه طمع بسياسته التوفيقية بين المجوسية الزرادشتية والإسلام في أن يضم إلى حركته المجوس إضافة إلى الموالي الفرس الذين لم يكن قد مضى على إسلامهم وقت طويل وصولاً إلى تحطيم السيادة العربية والدولة العربية الإسلامية.

بـد حركة إسحاق الترك (١٣٧هـ-١٤٠هـ/٧٥٥م-٧٥٨م)

بالرغم من قلة المعلومات عن الحركة، إلا أن ابن النديم أشار إلى ملامح من تعاليمه وحركته، فقد كان أمياً وأحد أعضاء التنظيم السري العباسي في بادئ الأمر، إلا أنه بعد تصفية أبي مسلم هرب إلى بلاد ما وراء النهر وأعلن حركته، وقد اعتبر أبا مسلم منقذاً منتظراً، وأشار ابن النديم في رواية أخرى إلى أنه ادعى النبوة وأرسله زرادشت، وزعم لأتباعه أن زرادشت حي لم يموت، وسيخرج لإقامة دينه، لكن من المستغرب أنه استطاع أن يجمع حوله (المبيضة) وهم خرمية ما وراء النهر، وهذا يدل على أن الحركات الفارسية كانت تستغل أية فرصة للنيل من الحكم العربي، هذا وقد استطاع والي خراسان خالد بن إبراهيم الشيباني من إخماد حركة إسحاق الترك، وتم القبض عليه وقتله، وتفرق أتباعه.

جـ. حركة استاذيس (١٥٠هـ/٧٦٧م):

أشار الشهرستاني إلى أن السيسانية (نسبة إلى استاذيس) والبهافيردية صنف واحد متفرعان عن الزرادشتية، ويظهر أن تعاليم استاذيس كانت استمراراً لتعاليم بهافيرد، ويشير اليعقوبي إلى أنه ادعى النبوة وتصفه رواية أخرى بأنه رجل من الكفرة.

أعلن استاذيس حركته في خراسان عام ١٥٠هـ/٧٦٧م، وانضم إليه أتباع كثيرون، من أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها، واستطاع أن يستولي على مدن كثيرة مستغلاً عدم وجود قوات حكومية كبيرة من جهة ولاضطراب خراسان إبان تلك الفترة من الجهة الأخرى، واستطاع بعد ذلك من أن يهزم القوات العباسية في مرو الروذ ويقتل القائد العباسي، وقتل أيضاً بعض القواد العرب أرسلهم الخليفة المنصور.

أرسل الخليفة المنصور وعلى وجه السرعة القائد خازم بن خزيمة التميمي ومعه (١٢) ألف مقاتل، وبعد أن أعاد تنظيم القوات المنهزمة واختيار ستة آلاف مقاتل منهم حيث ضمهم إلى قواته، وبعد استعدادات كبيرة للقوات العباسية أصبحت في وضع الهجوم بدل الدفاع استطاعت بالتالي من إلحاق الهزيمة بقوات استاذيس الذي هرب ومعه قسم من قواته، واعتصم بأحد الجبال الحصينة، لوصول إمدادات عسكرية جديدة قام القائد العربي خازم التميمي بضرب الحصار على استاذيس وفي النهاية استسلم ثم قتل في بغداد بأمر من الخليفة المنصور.

٢. الحركات المزدكية:

أ. حركة سنباذ (١٣٧هـ/٧٥٥م):

وصفه المسعودي بأنه خرمي، أما الطبري فقد عده مجوسياً، في حين عده نظام الملك مزدكياً، على أننا يجب أن نذكر بأن ليس هناك تناقضاً في هذه الآراء، ذلك أن المزدكية هي إحدى مذاهب المجوسية الثلاثة (الزرادشتية، والمزدكية، والمانوية)، على حين أن الخرمية هي مزدكية متطورة في العصر الإسلامي، ولذلك فإن سنباذ بشر بآراء مجوسية ومزدكية وخرمية متطورة ومتأثرة ببعض تعاليم الدين الإسلامي، ولعله كان يرغب في ضم أكبر قدر ممكن من الأتباع حيث استعمل سنباذ مع كل جماعة انضمت إليه اللغة التي تفهمها تلك الجماعة، رافعاً شعارات تستهويها، ونظراً لتعلق الخراسانية بأبي مسلم، لذلك استغل سنباذ مقتله، فأعلن حركته في نيسابور مدعياً بأن أبا مسلم لم يمت، وبشر أتباعه من الفرس بنهاية السلطة العربية، وأعلن أنه يريد هدم الكعبة، وكتب إلى ملك الديلم: أنه قد انقضى ملك العرب، فاستجابت له جموع غفيرة من سكان قومس والري والجلال التي كانت مهد الخرمية، ولقب بـ(فيروزا صبهيد) أي القائد المنتصر.

وحين تحرك سنباذ باتجاه همدان اضطر الخليفة المنصور إلى تجهيز حملة مستعجلة بقيادة جهور بن مرار العجلي، وكان تعداد المقاتلة (١٠) آلاف رجل ثم تبعها تعزيزات جديدة، وقد انضم إلى الجيش العباسي العرب المسلمون الذين كانوا مستقرين في منطقة الجبال بقيادة عمر بن العلاء، وربما انضم إلى هؤلاء المتطوعة بعض الموالي من سكان الجبال والري، والتقى الجيشان في (موقعة جرجينان) بين الري وهمدان، وقد أظهر عمر بن علاء شجاعة فائقة

في المعركة مما أدى إلى هرب سنباذ والتجائه إلى أصبهذ طبرستان، إلا أن ابن عم أصبهذ طبرستان استطاع قتله.

بد حركة المقنع (١٥٩هـ-١٦٢هـ/٧٧٦م-٧٧٩م):

يذكر المقنع تحت أسماء مختلفة منها هاشم وحكيم وعطاء، عاش في إحدى قرى مرو، اشتغل في تنظيف الصوف وغسله، لكن ظروفه تحسنت بعد أيام الدولة العباسية، حين عين أبوه موظفاً في خراسان فاهتم والده بتثقيفه وتربيته، وقد انتقل المقنع بين مرو وبلخ لتحصيل العلم.

وفي أثناء ولاية أبي مسلم، أصبح المقنع أحد الرؤساء في الجيش، ومن أتباع أبي مسلم، وقد انضم إلى فرقة الرزامية، وفي ولاية عبد الجبار الأزدي انتقل لخدمة هذا الوالي الجديد، ووافقه في إعلان تمرده ضد العباسيين، ثم أسر هاشم وجيء به إلى بغداد، ثم أطلق سراحه بعد فترة من الزمن.

أما في بداية أمره فقد ذهب إلى خراسان، وأخذ يدعو الناس له، فاتخذ القناع، لكي يستر عيوبه، فهو أعور، قصير، دميم الوجه، وقيل أن القناع كان من الذهب أو الحرير الأخضر، وقد قدس المقنع نفسه، ولجأ إلى استعمال السحر، فكان يظهر للناس قمراً في بئر، ولما فشل أمره تبين أن في أسفل البئر زئبق وكان عوام الناس يتعجبون منه، وما هو إلا استخدام الطرق الهندسية وانعكاس الضوء.

كما كان يمتنع عن الظهور للناس بحجة أن نور وجهه سيحرقهم، ولما ألحوا على ذلك، جمع مجموعة من النساء، وأمسكن المرايا لكي تعكس أشعة الشمس عن ظهوره، كما أنه أكد على الحلول والتناسخ وادعى أنه روح الإله حلت به بعد أبي مسلم، ودعا الناس إلى ترك الفرائض كالصوم والصلاة

والحج، وقال للناس أن الدين هو معرفة الإمام فقط، كما أباح النساء، ودعا الناس إلى التوجه إلى مكان وجوده في صلاتهم، كما يقول ذلك ابن الأثير - أما أهم تعاليم المقتنع فهي:

- ١- ادعى المقتنع الألوهية، حتى أنه رفض أية صفة غيرها.
 - ٢- نادى المقتنع بال طول والتناسخ، فقال: إن الله خلق آدم من صورته ثم في صورة نوع، ثم في صورة إبراهيم، ثم موسى، وعيسى، ومحمد ثم في صورة أبي مسلم ثم إليه، وطلب من أتباعه أن يسجدوا له.
 - ٣- ادعى المقتنع بأنه بعد وفاته سيعود إلى هذه الأرض، ويملاها عدلاً.
 - ٤- قدس المقتنع أبا مسلم وعده أفضل من الرسل.
 - ٥- أسقط الفرائض من صوم وصلاة وزكاة، وحرم على أتباعه القول بوجود حلال أو حرام.
 - ٦- طبق المقتنع تعاليم مزدك على أتباعه، وخاصة ما يخص إباحة النساء والأموال.
 - ٧- أعطى المقتنع الحق لأتباعه بقتل كل من يخالفهم.
- ونتيجة لدعواته هذه فقد انضمت إليه المبيضة من أتباع أبي مسلم في بلاد ما وراء النهر، وقد أشار إلى هذا ابن الأثير إذ قال: "وظهرت المبيضة ببخارى والصفد معاونين له".
- وانتشرت حركة المقتنع في منطقة كش منذ سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م، وانضم إليه بنيان بن طغشادة أمير بخارى.

أخذ المقنع بعد أن كثر أتباعه بمهاجمة القرى وقطع الطرق فاضطر
الوالي العباسي حميد الطائي إلى اعتقاله، ثم هرب إلى بلاد ما وراء النهر،
واعتصم بحصن سنام، وقد باعت جميع الحملات الإسلامية التي أرسلت للقضاء
عليه بالفشل، ومن هذه الحملات -حملة جبريل بن يحيى، ويزيد بن يحيى،
ومعاذ بن مسلم، وسعيد الحرشي- ولم يتمكن أحد من القضاء عليه سوى سعيد
الحرشي الذي أسند إليه الخليفة المهدي مهمة القضاء على المقنع فحاصره.
ويذكر البغدادي أن سعيد الحرشي قد جهد من أجل القضاء عليه فاستخدم من
الحديد والخشب مائتي سلم، ليضعها على عرض خندق ليعبر عليها رجاله،
واستدعى من مولتان الهند عشرة آلاف جلد جاموس وحشاها رملًا وكبس بها
خندق المقنع، وبعد هذا الحصار الطويل اضطر أصحاب المقنع إلى التسليم،
لكن المقنع ظل حتى النهاية رافضاً للصلح أو النزول بأمان، ويقال بأنه أعد
لأصحابه شراباً مسموماً وسقاهاهم منه، وأخبرهم أنه سيختفي ويعود إليهم بعد
مدة، وألقى النحاس والقطران في التنور، وألقى نفسه فيه وانتهت حركته سنة
١٦٣هـ/٧٧٩م.

٣- الزندقة:

الزندقة هي إحدى الحركات الفارسية التي تسنرت بالإسلام كغطاء
لتحركاتها، وحاولت هدمه من الداخل، وتسمى الزندقة بالشعبوية أيضاً، وكانت
الزندقة تتخذ الديانات الفارسية أساساً لها في مهاجمة عقيدة المسلمين وآدابهم
وتراثهم وتاريخهم المجيد، وقد أشار الجاحظ إلى هذا فقال: "إنما عامة من
ارتاب بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعبوية، فإذا أبغض شيئاً أبغض

أهله، وإن أبغض تلك اللغة، أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذا كانت العرب هي التي جاءت به".

وأخذ الزنادقة والشعوبيون في إعلان معتقداتهم علانية، وظهرت آراؤهم وشاعت بين الناس، وخاصة في زمن الخليفة المهدي الذي كان عهده، عهد هدوء واستقرار سياسي، وأخذوا يطرحون آراءهم دون خوف أو وجل.

لهذا برز الخليفة المهدي لمحاربة هذه الحركة، سيما وقد عرف العدل وحسن الخلق، ومحاولة تمجيد الدين الإسلامي، يضاف إلى ذلك أن الهدوء الذي تميز به عصره ساعده على تتبع هذه الحركة، فقد جد الخليفة المهدي في تتبعهم منذ سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م، وأنشأ ديواناً خاصاً لهم، عرف بـديوان الزنادقة، وعين عليه مسؤولين من بينهم عمر الكلوزي، وعبد الجبار، ومحمد بن عيسى ابن حمدوية، هذا في العاصمة، أما في مراكز الأقاليم فكان عريف الزنادقة هو الذي يشرف عليهم، ويعاونه المحتسبون ورجال الشرطة.

وكانت الطريقة التي يحاكم بها الزنادقة هي القبض عليهم، بعد أقل تهمة فيطلب إليهم الخليفة أو من يخوله من القضاة أن يرجعوا عن الزندقة إذا اعترفوا بها، فيطلق سراحهم إذا رجعوا، وهذه العملية تسمى الاستنابة، ولكي يتأكد القاضي أنهم رجعوا فعلاً عن الزندقة، كانوا يطلبون من المتهم أن يبصق على صورة ماني، وأن يذبح طائراً، لأن المانوية تحرم ذبح الحيوان.

وقد خول الخليفة المهدي مسؤول ديوان الزنادقة، أو عريف الزنادقة سلطات واسعة جداً منها قتل كل من يدان بهذه التهمة، وجعل للزنادقة سجناً خاصاً سمي (بسجن الزنادقة) خصوصاً بعد أن أخذوا يعلنون عن آرائهم واعتقاداتهم علنية ويشير الطبري إلى هذا فيقول: "واستمر المهدي يطارد

الزنادقة، ففي حملته سنة ١٦٣هـ إلى بلاد الروم قتل جماعة من الزنادقة في حلب وأحرق كتبهم.

ويتضح مفهوم الزندقة بصورة شاملة عند الخليفة المهدي، عندما: "قال لموسى الهادي يوماً، وقد تقدم إليه زنديق، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فضرب عنقه، وأمر بصلبه، يا أبي أن صار لك هذا الأمر، فتجرد لهذه العصابة، يعني أصحاب ماني، فإنها تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتتاب الفواحش، والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم، ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجاً، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة الإثنيين، أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاعتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق لتتقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله الذي لا شريك له".

كما أمر الخليفة المهدي الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب والرد عليهم، واستمرت المطاردة للزنادقة في عهد الخليفة موسى الهادي، وهارون الرشيد، وقد استثنى الخليفة الرشيد في العفو الذي أصدره ضد المعارضين له، الزنادقة، وعدم شمولهم به، وذلك في سنة ١٧٠هـ، ٧٨٦م.

ولم تقتصر مقاومة الزندقة على الدولة فقط، إذ لعب العلماء والمحدثون والمتحكمون دوراً في الرد على الزنادقة وتنفيذ آرائهم ومزاعمهم، ومنهم أبو محمد هشام بن الحكم (ت ١٩٩هـ/ ٨١٤م) كتاب الرد على الزنادقة والرد على أصحاب الاثنين، وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، كتاب الرد على أصحاب التناسخ، وأحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/ ٧٨٠-٨٥٥م) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، وأبو الربيع محمد بن الليث الخطيب كتاب

الرد على الزنادقة، وأبو عثمان الرقي رسالة للرد على الملحدين وأصحاب الاثنين - فضلاً عن عدد كبير من الكتب مما لا يتسع المجال لذكرها.

أما أسباب إعلان الحرب على الزنادقة فتعود إلى سببين: أولهما -السبب الديني- وهو أن اتباع هذه الديانات أخذوا يحاربون الدين الإسلامي ومجابهته، وثانيهما -السبب السياسي- فقد كان أغلب الزنادقة من الفرس، وقد اعتقدوا أن السلطة محصورة في العرب، وأنهم خاضعون لهم، بينما يريد الزنادقة أن تكون الدولة فارسية بكل مظاهرها، فسعوا لقلب نظام الحكم، الذي يستند إلى الدين، فأشاعوا نشر الديانات الفارسية القديمة، لأنه أساس الخلافة ديني، ولأن اتحاد الدين بالسياسة وتناصرهما كان ركن الدولة العباسية، فالزنادقة بإضعافهما الدين الإسلامي تضعف من سلطان الخليفة، وتهدم أساس الدولة، وتفسخ مقومات المجتمع.

خامساً: الحركات الموالية للأمويين

كان إقليم الشام يتمتع بامتيازات كثيرة إبان الحكم الأموي سواء كانت اقتصادية أو سياسية، فقد كان الإقليم الأول بنظر الخلفاء الأمويين، وكانت مصالح أهل الشام مفضلة على مصالح بقية الأقاليم، كما كانت لوجهة نظرهم أهمية وتأثير، وعند انتقال الحكم إلى العباسيين، أصبح العراق الإقليم الأول فكان من الطبيعي أن يشعر الشاميون بخيبة أمل وأصبحوا موضع شك وريبة خصوصاً بعد أن أغلقت أغلب المدن الشامية الأبواب بوجه الولاة العباسيين فكانت هناك حركات سياسية صدقة قام بها شيوخ القبائل العربية من المؤيدين للأمويين وإن كانوا على النقيض من سياسة مروان الأخير.

ويلاحظ أنه بعد زوال حكم الخليفة مروان الأخير ظهرت آمال جديدة لدى أهل الشام، وهذه المرة ليست سياسة صرفة، وإنما سياسة دينية، فكانت على شكل تنبؤات تتعلق بفكرة المنقذ المنتظر وهو السفيناني المنتظر، منقذ أهل الشام من العباسيين، إن هذه الفكرة في الحقيقة ظهرت أول مرة بعد وفاة معاوية الثانية حيث سيطر على الحكم الفرع المرواني من الأمويين لكنها ظهرت في هذه الفترة بين القبائل الكلبية- اليمانية التي أقصاها مروان الأخير عن المساهمة في الحكم ومجيء العباسيين إلى الخلافة.

وفيما يلي أهم الحركات السياسية وكذلك السياسة الدينية:

١- حركة حبيب بن مرة المري (١٣٢هـ/٧٤٩م):

كان حبيب المري أحد قواد الخليفة الأموي مروان بن محمد وفرسانه، وما أن نجحت الثورة العباسية حتى خشي على نفسه وعشيرته، فأعلن معارضته للحكم الجديد، واتخذ الشعار الأبيض المعارض للسواد شعار العباسيين، وقد أيدته قبائل قيس بالبقاء من أهل البثينة وحواران وعند محاصرتهم من قبل عبد الله بن علي أول والي على الشام قامت حركة أخرى بقيادة أبي الورد، فاضطر والي العباسي إلى عقد هدنة مع حبيب المري.

٢- حركة أبي الورد مجزأة بن كوثر الكلابي:

على إثر هزيمة الخليفة الأموي مروان ومقتله، حدثت حركة أخرى سياسية دينية في قنسرين وحلب سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. وهي حركة أبي الورد مجزأة بن كوثر الكلابي وأبي محمد السفيناني، فقد بيض أبو الورد من أهل قنسرين وخرج عن طاعة الخليفة أبي العباس.

وهناك رواية اتفق عليها المؤرخون الرواد حول أسباب هذه الحركة فيعززون ذلك إلى أن أحد قواد عبد الله بن علي أساء التعامل مع ولد مسلمة بن عبد الملك الذين كانوا مجاورين له، فأثار هذا العمل حمية أبي الورد فخرج إليه وقتله. فسواء أكانت هذه الرواية صحيحة أم لا فإنها اتخذت تبريراً لحركة أبي الورد الذي شعر بخيبة أمل كبيرة بزوال سلطان الدولة الأموية التي رعتَه وأحبتَه.

ومن الجدير بالذكر أن الأمر تفاقم على العباسيين إذا انضم عرب حمص وكلبو وتدمر إلى حركة أهل قنسرين بزعامة أبي الورد، بعد أن نجحوا في الانضمام إلى أبي محمد السفيناني، وقد كان عددهم حوالي (٤٠) ألفاً، إذ أعلنوا أن أبا محمد زياد بن عبد الله هو السفيناني المنتظر الذي سينقذ أهل الشام من محنتهم التي وقعوا فيها وقالوا: هو السفيناني الذي يذكر.

وتؤكد روايات تاريخية إلى أنه حدث اتفاق بين أبي محمد السفيناني وأبي الورد الكلابي على تكوين جبهة واحدة، فقد كان أبو الورد هو المتولي لأمر العسكر المدبر له وصاحب القتال والوقائع، بينما كان أبو محمد السفيناني مقدم الجيش وصاحبه.

وكانت النتيجة أن خرج عبد الله بن علي إلى مرج الأخرم بعد أن انضم إليه أخوه عبد الصمد بن علي ومجموعة أخرى من القواد منهم حميد بن قحطبة فاقتتلوا في مرج الأخرم في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، حيث قتل أبو الورد، أما بالنسبة إلى أبي محمد السفيناني فقد انسحب مع أتباعه من بني كلب إلى تدمر، ثم هرب إلى الحجاز وبقي فيها إلى أيام الخليفة أبو جعفر المنصور فأدرك هناك وقتل.

٣- حركات الجزيرة الفراتية:

ساد بلاد الجزيرة جو من عدم الاستقرار على إثر انهزام القوات الأموية بعد معركة الزاب، وقد شجعت حركة أبي الورد وأبي محمد السفيناني القبائل العربية في الجزيرة للتحرك ضد العباسيين فحاصروا حامية حران المكونة من ثلاثة آلاف جندي، وجاءهم التأييد من محمد بن مسلمة بن عبد الملك، ونظراً لعدم وجود قيادة للحركة لذلك كان حصارهم غير مجد فاضطروا إلى تنصيب إسحاق بن مسلم العقيلي - وهو أحد شيوخ القبائل - رئيساً لهم، فأعاد الحصار على حران من جديد لكن الخليفة أبا العباس أرسل تعزيزات جديدة بقيادة أخيه أبي جعفر المنصور من واسط الذي وجد الحركة شملت الرقة وقرقيسيا والرها، فلم يستطع اقتحام تلك المدن، وفي الوقت نفسه لم يستطع إسحاق العقيلي من اقتحام حران لذلك رحل بقواته الرها عام ١٣٣هـ/٧٥٠م وانضم إليه أخوه بكار بن مسلم فأرسله إلى دارا وماردين، مما شجع قبائل ربيعه مع شيخها بركة بالانضمام إليه، لكن سرعان ما اصطدموا بالجيش العباسي، فكانت المعركة التي انتهت بمقتل بركة وانهزم بكار إلى أخيه في الرها، فحاصر الأمير أبو جعفر الرها، عند ذلك أرسل الخليفة أبو العباس عمه عبد الله بن علي والي الشام إلى سماسياط لمواجهة قوات إسحاق، فعسكر بإزائها في الجانب الآخر من نهر الفرات، وفي الوقت نفسه وصل الأمير أبو جعفر إلى سمسياط، وتمت محاصرة قوات إسحاق لمدة سبعة أشهر، وفي النهاية طلب إسحاق العقيلي الأمان، وبذلك انتهت حركات الجزيرة الموالية للأمويين ضد الحكم العباسي.

سادساً: حركات العلويين:

١- حركة محمد بن عبد الله الحسني في الحجاز:

عندما ظفر العباسيون بالخلافة استمر العلويون في موقفهم المعارض الذي كانوا قد اتخذوه أيام الأمويين، لأنهم عدوا أنفسهم أحق بالخلافة من العباسيين، وأنهم أي العباسيين سلبوهم حقاً كان حسب اعتقادهم لهم، فبدأوا دور معارضة جديدة وشاقة ضد العباسيين.

إلا أن العلويين لم يكونوا متحدين في جبهة واحدة تنظم معارضتهم فقد كانوا فرعين الفرع الحسني وبتزعمه عبد الله بن الحسن الذي كان أشد العلويين عداوة للعباسيين، ثم الفرع الحسيني الذي تزعمه جعفر الصادق الذي كان مسالماً لا يتدخل في السياسة بل انشغل بالفقه والمسائل الدينية.

أما العباسيون فقد بدأوا ينظرون للعلويين نظرة شك وتحسب باعتبارهم مصدر خطر على الدولة الجديدة، ويتأتى خطرهم من ناحيتين الأولى معارضتهم الذاتية للعباسيين، والثانية أنهم أصبحوا رمزاً وملجأ لكل المعارضين، والمتذمرين سواء كانوا يؤمنون بالقضية العلوية أم لم يكونوا ممن يؤمنون بها.

ولابد من الإشارة هنا إلى (مؤتمر الأبواء) الذي عقده الهاشميون من العلويين والعباسيين قرب مكة سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وذلك لفرض الاتفاق على شخصية هاشمية يبايعونها، خاصة عندما رأوا اختلال أمر بني أمية على إثر مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م. وقد حضر هذا الاجتماع على ما تشير إليه الروايات التاريخية من العلويين جعفر بن محمد الصادق وعبد الله بن الحسن المحض، وأبناء محمد للخلافة، وطلب من الحاضرين مبايعته، ولكن

المجتمعين لم يستجيبوا لطلبه وانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار لاختلاف وجهات النظر على أصدق الروايات التاريخية، فقد عارض جعفر الصادق طلب عبد الله المحض بشدة ونهى الحاضرين عن البيعة لابنه محمد، كما أنه تنبأ على حد زعم رواية عباسية بأن الخلافة ستؤول لبني العباس وخص منهم أبا العباس وأبا جعفر، ثم إن إبراهيم الإمام واجه الاقتراح الحسني بالرفض.

وقد اختلفت آراء المؤرخين ذو الميول العلوية والعباسية حول هذا الاجتماع إذ اتخذوا منه مصدراً لدعواتهم المتنافسة، فالحسنيون ابتدعوا رواية فحواها أن المجتمعين بايعوا محمد النفس الزكية، وقد قابلهم العباسيون في رواية وهي أن إبراهيم الإمام انسحب من الاجتماع بعد أن أتاه رسول من خراسان يخبره بأن شيعته في خراسان يدعون له، وأن الدعوة العباسية تحقق نجاحاً ملحوظاً.

ومهما يكن فإن الذي يهمنا في هذا المجال أن البيعة لمحمد (النفس الزكية) لم تتم فعلاً، وإنما كانت هذه الروايات مجرد تبرير حركته فيما بعد.

عندما بويع أبو العباس بالخلافة أعلن بأن الخلافة عباسية وستبقى عباسية، وأنكر بصورة غير مباشرة أن يكون العلويون أحق بها من خلال خطبته الأولى التي ألقاها في الكوفة، ولكن خطبته هذه كان فيها نوع من المرونة السياسية في محاولتها التوفيق بين العلويين والعباسيين، وقد أكد عمه داود بن علي على نفس المفاهيم، ووضع سياسة العباسيين إذ قال: "إنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقناً، والغضب لبني عمنا، وما كرثنا من أموركم.."، فكان الأذى الذي أصاب العلويين أيام الأمويين من الدوافع التي برر بها العباسيون خروجهم على الأمويين، وعندما أتم داود بن علي خطبته السياسية لم ينس أن

يشيد بعلي ابن أبي طالب ﷺ حيث قال: "ألا وأنه ما صعد منبركم هذا بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن محمد".

لقد حاول الخليفة أبو العباس ومن خلال مدة حكمه القصيرة خلق جو من الوفاق الودي الهاشمي (العباسي العلوي)، فيلاحظ مثلاً أنه تغاضى عن اتصالات يزيد بن هبيرة بمحمد النفس الزكية وتغاضى عن مراسلات أبي سلمة الخلال مع العلويين.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما بويع أبو العباس بالخلافة لم يحضر عبد الله ابن الحسن مبرراً ذلك بمرضه، مما يدل على أنه كان مصمماً على العمل على إسناد الخلافة لابنه محمد، ثم أن ابنه محمداً وإبراهيم امتنعا عن مبايعة أبي العباس.

وقد عض الخليفة أبو العباس النظر عن موقفهم هذا كذلك، واتبع معهم أسلوب المصانعة واللين والمساومة وتحاشى الاصطدام معهم، وقد أكرمهم غاية الإكرام وكان ملاطفاً لعبد الله بن الحسن بالرغم من أن عبد الله المحض كان ينتهز أي فرصة لإظهار امتعاضه من الوضع الجديد، لقد كان لسياسة أبي العباس هذه نتائج طيبة إذ حصل من عبد الله بن الحسن على الوعد التالي: "يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما أي (ولديه محمد النفس الزكية وإبراهيم) شيئاً تكرهه ما كان محمد في الدنيا"، فطفئ أمر محمد في خلافة أبي العباس فلم يظهر منه شيء.

ويرى الدكتور فاروق عمر بأن الخليفة أبا العباس ومن خلال سياسته التوفيقية المرنة مع العلويين أراد أن يعطي للدولة الجديدة فرصة لكي تقوم بتثبيت نفسها.

وقد تغير موقف الخلافة على عهد المنصور، حيث اتخذ سياسة الحزم والشدة اتجاه المعارضة، ومن ضمنها الحركة العلوية الحسنية، في الوقت الذي أصبح محمد النفس الزكية رمزاً للمعارضة للحكم العباسي، وقد نبه والي خراسان عبد الملك الأزدي الخليفة المنصور بتصاعد التأييد لمحمد النفس الزكية في خراسان، خصوصاً أن محمد النفس الزكية أرسل أولاده وبعضاً من إخوته إلى الأمصار للحصول على المؤيدين، وقد تعقد الموقف عندما لم يحضر محمد وأخوه إبراهيم إلى مجلس الخليفة في موسم حج عام ١٣٦هـ / ٧٥٣م، مما دعا الخليفة إلى الاستفسار عنهما، ثم خصص لأهل المدينة العطاء، وأمر واليه بعدم تسليمه لهما، ما لم يحضرا شخصياً، ومع ذلك بقيا مختلفين عن الأنظار بالرغم من الرقابة الشديدة التي فرضها والي الجديد الفضل العباسي، لقد عد الخليفة المنصور موقف آل الحسن هذا بمثابة إعلان الثورة والعصيان ضد الحكم العباسي، وقد عبر الخليفة عن هذا الموقف بقوله: "إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً لملكنا واغتيالاً". لذلك وضع آل الحسن تحت الرقابة الشديدة، وأخذ يسأل الهاشميين عنهما، فلم يحصل على أية نتيجة.

وعندما تأكد الخليفة عن طريق عيونه مشاركة عبد الله الحسني في استئثار ولديه، قرر السفر إلى الحجاز عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م ليطلع بنفسه على الوضع السياسي وقد حاول الخليفة معرفة مكانهما فلم يفلح فاندempt بالتالي الثقة بين الطرفين، فقرر اعتقال عبد الله الحسني وأهله، والعودة إلى العراق، وقد عين الخليفة عدة ولاة على الحجاز، كنت مهمتهم الرئيسية هي التعرف على

مكان محمد وإبراهيم، فضلاً عن متابعة المنصور بنفسه هذا الأمر، وأخيراً قرر الخليفة تعيين رياح المري والياً على الحجاز وهو رجل من قيس وغير معروف، وأمره بالتشدد على بني الحسن، وبالعنف على أهل المدينة، لكن جهوده لن تثمر، عندها أمره الخليفة باعتقال ثلاثة عشر رجلاً من بني الحسن.

ثم قرر الخليفة الذهاب إلى الحج عام ١٤٤هـ/ ٧٦١ لعله يقنع عبد الله الحسني بتسليم ولديه، إلا أن محاولته باءت بالفشل مرة أخرى، ولما عاد إلى العراق أخذ معه بني الحسن مقيدين وسجنهم في هاشمية الكوفة، ولما تحرك أنصار محمد النفس الزكية في خراسان قام الخليفة بقتل محمد العثماني، وكان أخاً لعبد الله الحسني لأمه، وأرسل رأسه إلى خراسان، ومعه رجال يشهدون أنه رأس محمد النفس الزكية، وربما يعود السبب في قتله إلى شعبيته لدى أهل الشام، وبعد ذلك توفي عبد الله الحسني في الحبس عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م.

وفي رجب من العام المذكور ظهر محمد فجأة ومعه مائة وخمسون رجلاً، فسيطروا على السجن، وأطلقوا سراح المعتقلين وسيطروا على بيت المال وبعد ذلك اعتقلوا الوالي رياح المري وأعوانه، وقد تضافرت جملة عوامل في حمل محمد النفس الزكية إلى الإسراع في إعلان حركته فجأة منها القبض على والده وأهل بيته والخوف على مصيرهم، ثم اعتقال أخيه موسى وإرساله إلى العراق، وعلمه بأنه سيغتال في الطريق، لذلك تحرك بسرعة لإنقاذه، وربما لعبت الأخبار التي وصلت بموت والده في السجن دوراً في إظهار نفسه بهذه السرعة، على أن يجب أن لا تغفل دور أهل المدينة في الضغط عليه لكونهم بدوا يعانون من السياسة التعسفية للوالي تجاههم فضلاً عن الخطة التي اتبعتها الخليفة المنصور في دفع محمد للظهور بهذه السرعة، ذلك أنه أوعز إلى بعض قواد الجيش بمراسلته وإيهامه بأنهم على استعداد للوقوف

إلى جانبه، وقام الخليفة بنفسه بتزوير بعض الكتب بهذا الشأن، وفي رواية أن المنصور قال عند ظهور محمد "أنا أبو جعفر أخرجت الثعلب من وكرة".

ومهما يكن من أمر فقد ساد المدينة جو من الشائعات، وبادر الناس إلى شراء الطعام لتجنب الحصار الاقتصادي المتوقع، وقد حصل محمد على تأييد أهل المدينة له وأحكم سيطرته على المدينة، وعين والياً عليها، وقاضياً وصاحب شرطة وعلى الديوان أيضاً وبعبارة أخرى شكل حكومة في المدينة، ثم حاول السيطرة على المناطق المجاورة، فأرسل والياً إلى مكة واليمن والشام، أما الخليفة المنصور فإنه لما سمع بتحريك محمد النفس الزكية استشار بعض أصحابه، وقرر ضرب الحصار الاقتصادي على المدينة، وأمر عامله على مصر بقطع الميرة عن الحرمين، وأمر واليه على الجزيرة بإرسال المدد إليه، وفي الوقت نفسه دخل بمراسلات مع محمد النفس الزكية ليعطي نفسه الفرصة في ترتيب قواته ووضع الخطط اللازمة لإخماد الحركة.

ففي الرسالة الأولى التي وجهها الخليفة، حملت في طياتها التهديد والترغيب، واعتبر محمد النفس الزكية من الخارجين على الدولة المستحقين للقتل، ثم عرض عليه الأمان له ولأهل بيته ومن تبعه إن هو سلم نفسه للسلطة، أما محمد فإنه لقب نفسه بالمهدي، لجذب الأنصار والمؤيدين وعرض على الخليفة الأمان أيضاً، ثم أوضح أحقيته بالخلافة، مستنداً إلى حق الوراثة، ثم انتقل بعدها إلى المفاخرة بالأنساب والأحساب، مؤكداً شرف نسبه من جهة النساء معرضاً بجد الخليفة العباس بأنه كان من بين الطرداء والطلاق واللعناء.

وحين وصل الرد إلى الخليفة قام بنفسه بكتابة الرد عليها، واستهله بدحض الحجة القائمة على قرابة النساء، مؤكداً حق العم بميراث ابن الأخ، واستند أيضاً إلى حق الحرمة، لأن العباس كان مسؤولاً عن سقاية الحجاج في

الكعبة، وتعمد الخليفة امتداح الفرع الحسيني، ففضل علي زين العابدين على عبد الله الحسني، وجعفر الصادق على محمد النفس الزكية بصورة غير مباشرة، وأخيراً تطرق الخليفة إلى مسألة مهمة وهي أن الحق جاء عن طريق (حق الثورة) ذلك أن العلويين حاولوا نيل الخلافة لكنهم فشلوا، بينما نالها العباسيون بعد نضال طويل وعن طريق ثورة مسلحة، فالخلافة إذن من حقهم.

إن النزاع بين الطرفين لم يحسم بهذه الرسائل، لذلك استدعى المنصور بعد استقراره في الكوفة ولي العهد عيسى بن موسى، وبعد أن شاوره، استتر رأيه على توجيهه على رأس قوة مكونة من أربعة آلاف فارس وألفي راجل، أتبعه بقوة أخرى على رأسها حميد بن قحطبة الطائي، إن اختيار عيسى بن موسى ربما كان الغرض منه تحقيق توازن في شخصي القائدين المتحاربين لكونهما هاشميين، وربما يؤدي إلى انحياز بعض وجوه أهل المدينة إلى جانب العباسيين، فضلاً عن هدف آخر، وهو رغبة الخليفة في التخلص من ولي العهد لصالح ابنه المهدي في حالة قتل ولي العهد السابق في تلك المواجهة.

تحرك عيسى بن موسى بقواته، فلما وصل منتصف الطريق بين الكوفة ومكة كتب إلى بعض وجوه أهل المدينة، فخرج جماعة منهم فالتحقوا بصفوفه، أما محمد النفس الزكية، فإنه استشار أصحابه، حول الخروج من المدينة لملاقاة القوة العباسية، أم البقاء داخلها، وأخيراً قرر قبول رأي من قال: أن يخذل على نفسه، فضلاً عن ظهور بوادر المنافسة القبلية بين أتباعه من جهينة وقيس، وعند وصول القوات العباسية إلى مشارف المدينة جمع محمد أتباعه ومؤيديه، وألقى فيهم خطبة، أبرز ما فيها أنه أحلهم من بيعته، فهو من ناحية ادعى أنه المهدي وأنه أحق الناس بالخلافة بسبب نسبه، وفي خطبته جعل هذا الأمر من حق المهاجرين والأنصار، وبذلك تخلى عن أهم ما كان يستند إليه من مبادئ،

ثم أنه سمح لمن يرغب عن مؤيديه في الابتعاد عن الصراع، وبذلك فسخ المجال لأن يتخلى عنه أغلب أتباعه.

ومهما يكن من أمر، فقد زحف الجيش العباسي وضرب الحصار على المدينة من ثلاث جهات وترك الجهة الرابعة لمن يرغب في الهرب منها، فلم يصمد محمد طويلاً، واشتد القتال، ثم قتل محمد مع بعض أصحابه المخلصين، وأرسل رأسه إلى الخليفة المنصور، وصودرت أموال بني الحسن، وساد المدينة فترة ليست بالقصيرة جو من عدم الاستقرار.

٢- حركة إبراهيم الحسني في البصرة:

كان المفروض أن تفجر حركتا الأخوين محمد وإبراهيم في وقت واحد في المدينة والبصرة، إلا أن ظروفًا معينة حتمت تأخير حركة إبراهيم، لعل أهمها مرض إبراهيم بالجدري، أو أن محمد تحرك قبل الموعد المتفق عليه تحت ضغط إجراءات الخليفة المنصور، أو ربما زواج إبراهيم كان السبب في تأخيرها، ومهما يكن من أمر فإن إبراهيم أخذ يدعو سرّاً في البصرة فاستجاب له قوم بلغوا أربعة آلاف منهم كثير من المعتزلة والزيدية، وبعض الفقهاء وقسم من أصحاب الحديث، وبذلك شكلوا جبهة معارضة واسعة ضد الحكم العباسي فضلاً عن عدم قيام الوالي العباسي باتخاذ إجراءات رادعة ضد إبراهيم، فاستطاع الأخير من إلقاء القبض على الوالي والاستيلاء على مخزن السلاح والسيطرة على دار الإمارة، ثم مد نفوذه إلى الأحواز.

لقد شرع الخليفة المنصور باتخاذ إجراءات وتدابير سريعة وشديدة لمواجهة الموقف، فأصدر أمره بمنع التجول في الكوفة ليلاً، ولجأ إلى خدع مبتكرة وناجحة حيث كان يأمر كتائب من الجند أن تخرج بالليل وتعود في

الصباح وهكذا، ثم أمر بإشعال النيران ليلاً وفي مناطق مختلفة من المدينة، فأعطى انطباعاً بقوة وضعه العسكري، فلم يتحرك أهل الكوفة على نطاق واسع -لتأييد إبراهيم- بعد ذلك اتخذ الخليفة بعض التدابير الفعلية لمجابهة حركة إبراهيم، فأرسل عدة كتب إلى قواده وولاته بإرسال تعزيزات إلى الكوفة، فجاءته التعزيزات من المدينة، والموصل والري والتحق به بعض معارضي إبراهيم في البصرة، واستطاع القائد خازم التميمي من اختلال الأحوال وانتزاعها من قائد إبراهيم، ثم استطاع القائد عامر بن إسماعيل من إشغال قوات إبراهيم التي اختلت واسط.

ولما وصلت القوات العباسية بقيادة عيسى بن موسى من المدينة إلى الكوفة، كلفه الخليفة بترأس القوات العسكرية للقضاء على إبراهيم وجيشه، وشكل الخليفة جيشاً جديداً قوامه ١٥ ألف مقاتل، في الوقت الذي دب فيه الخلاف بين أصحاب إبراهيم حول البقاء في البصرة أو التحرك نحو الكوفة، وأخيراً استقر رأيه في التحرك نحو الكوفة، فعسكر بقواته في منطقة باخمري، ثم دب خلاف شديد مجدداً في جيش إبراهيم وبالذات بين البصريين والكوفيين مما أثر بالتالي على سير المعركة، فضلاً عن الهجوم الفجائي من الخلف الذي قامت به قسم من القوات العباسية، بحيث طوقت قوات إبراهيم، وقتل إبراهيم في المعركة وأرسل رأسه إلى الخليفة.

لقد ساد جو من عدم الاستقرار في البصرة بسبب إجراءات الخليفة المنصور ضد مؤيدي إبراهيم في الوقت الذي كانت علامات الانتعاش الاقتصادي تظهر فيها قبل حركة إبراهيم، لكون أهلها تجار يحبذون الاستقرار ويتجنبون المشاكل السياسية.

٣- حركة الحسين بن علي الحسن الحسني:

حاول الخليفة المهدي أن يرضي المعارضة ومن ضمنهم العلويون وما توزيعه الهدايا والأعطيات على العلويين وأهل الحجاز، إلا ترجمةً للسياسة الجديدة التي انتهجها الخليفة المهدي، فضلاً عن أمره بفك الحصار الاقتصادي المفروض على الحجاز منذ حركة محمد النفس الزكية، فضلاً عن تعيينه يعقوب ابن داود المعروف بميوله العلوية وزيراً له، لكن هذه السياسة المرنة تبدلت بمجيء موسى الهادي إلى الخلافة عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م حيث اتبع سياسة الشدة والعنف وأمر بإيقاف العطاء للعلويين في المدينة، ثم تأزم الوضع نتيجة لحزم الوالي الجديد ضد مجموعة من العلويين شربوا النبيذ لكن توسط الحسين لدى الوالي أدى إلى إطلاق سراحهم من السجن بشرط أن يكفل بعضهم بعضاً، وفي تلك الأثناء فقد الحسين بن محمد الحسني وكان كفيله الحسين بن علي الحسني، فلم يستطع إحضاره فأغلط الوالي له القول، وفي رواية أن الحسين الحسني كان قد أعد العدة للثورة قبل فترة ليست بالقصيرة وكان يستغل موسم الحج ليتصل ببعض الكوفيين الذين أيده لذلك واعدهم على إعلان الحركة في حج عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م فاجتمعوا في المدينة واقتحموا المسجد تحت شعار (للمرتضى من آل محمد) واتخذ البياض شعاراً له معارضاً للسواد شعار العباسيين، لكن القائد العباسي اقتحم عليهم المسجد شاهراً سيفه لكنه قتل قبل أن يقضي عليهم.

لم يجد الحسين الحسني تجاوباً وتأييداً من أهل المدينة، ولقلة عدد اتباعه واجتماع العباسيين بأعداد كبيرة قرر الذهاب إلى مكة وفي تلك الأثناء وصلت أخبار الحركة إلى الخليفة الهادي فعين محمد بن سليمان بن علي مسؤولاً عن القضاء عليها، لكن الحسين حصل على تأييد واسع من أهل مكة والحجاز إلا أن

العُضد الفعلي جاءه من خمسمائة فرد منهم وهو عدد قليل بالقياس إلى القوة العباسية المتواجدة في مكة، ومهما يكن من أمر فإن المواجهة تمت بين القوتين يوم التروية ٨ ذي الحجة في وادي فح، وقتل الحسين بن علي مع مائة من أنصاره، وهرب الباقيون.

سابعاً: حركات الخوارج

الخوارج وهم الفئة التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ حيث لم ترض بالتحكيم رافعة شعار لا حكم إلا الله ولحقوا بحروراء وهي قرية من قرى الكوفة وأصبحت لهم نظرية في الخلافة حيث أنهم جوزوا أن يكون الخليفة من غير قریش مهما كان أصله أو جنسه.

١- خوارج الجزيرة الفراتية:

لقد عارض الخوارج الخلافة العباسية للأسباب نفسها التي عارضوا بها الخلافة الأموية، فقد عدوا العباسيين مغتصبين للسلطة، فقامت في الجزيرة عدة حركات للخوارج وهي:

أ- حركة بكر الشيباني (١٣٣هـ/٧٥٠م):

أشعل الخوارج ثورتهم في الجزيرة بقيادة بكر بن حميد الشيباني، فأرسل الوالي أبو جعفر إليهم قوة عسكرية بقيادة محقن بن غزوان إلا أنه انهزم، فأرسل بدله مقاتل العكي على رأس قوة عسكرية، فاستطاع من إلحاق الهزيمة بالخوارج في دارا، لكن بكر اعتصم بجبل دارا، فلحقه العكي واستطاع قتله، ثم هدمت مدن الجزيرة سوى حران.

بـ حركة الملبد الشيباني (١٣٧هـ/٧٥٤م):

أيد حركة الملبد مجموعة من ربيعة والمتذمرين من المناطق المجاورة، واستطاع أن يلحق هزائم متكررة بالجيش العباسي، ودخل الموصل وطردها، ثم اتجه جنوباً باتجاه تكريت واستطاع إلحاق الهزيمة بالقوة العباسية المرابطة فيها، وبعد ذلك استطاع إلحاق هزائم متكررة بعدة قواد عباسيين إلى أن اضطر والي الجزيرة حميد الطائي من مواجهة حركة الملبد بنفسه، إلا أنه هزم أيضاً وحوصر الوالي مع قواته مما اضطره إلى دفع مائه ألف درهم للملبد مقابل أن يرفع عنه الحصار، فقبلها ثم رحل بقواته، ولما شعر الخليفة المتصور بخطورة حركة الملبد، اهتم بها اهتماماً كبيراً فأرسل قوة عسكرية جديدة قوامها ثمانية آلاف مقاتل بقيادة خازم التميمي ونظلة النهشلي وزهير العامري، وبحركة عسكرية استطاع خازم التميمي من إلحاق أول هزيمة بالملبد، بعد سلسلة من المناوشات قرب الموصل ثم قتل الملبد في المعركة.

جـ حركة حسان الهمداني (١٤٨هـ/٧٦٥م):

أعلن حسان حركته في قرية من قرى الموصل، فتصدت له حامية الموصل التي لم تستطع الثبات أمامه، فتراجعت إلى جسر الموصل فدخل الخوارج سوق الجسر، فأحرقوه ونهبوه، ثم اتجه حسان إلى الرقة، ويبدو أنه سافر إلى السند عن طريق البحر، لعله يجد التأييد هناك، لكنه لم يحصل عليه، لذلك اتصل بخوارج عمان، إلا أنهم لم يؤيدوه، فقرر العودة إلى الموصل ثانية، فتصدت له حامية الموصل من جديد، لكنها انهزمت ثانية، وأسرى حسان مجموعة من عسكري الحامية، وقد وقع حسان بطلاً عندما أعدم أسيراً من

القيسية ولم يعدم الأسير الهمداني، فحدث انشقاق في صفوف الخوارج فتخلى عنه أكثر أتباعه فاضمحت حركته.

د حركة عبد السلام بن هاشم اليشكري (١٦٠هـ/٧٧٦م):

أعلن عبد السلام حركته في باجرما في الموصل، وكثر أتباعه وقوي أمره بحيث استطاع إلحاق الهزيمة بمجموعة من القواد العسكريين، ودخل عبد السلام بمراسلات مع الخليفة المهدي، وقد تحرك عبد السلام نحو نصيبين ولوجود قوة عسكرية كبيرة لذلك لم يستطع دخول نصيبين فتحرك بجيشه نحو رأس العين، لكن قبيلة تميم تصدت له مما اضطره إلى التحرك نحو أمد فاصطدم بقوة عباسية، لكنها لم تصمد أمامه، وقتل القائد العباسي في المعركة، وقد اختلفت الروايات في كيفية إنهاء حركة عبد السلام اليشكري، فخليفة بن خياط يذكر أن الخليفة المهدي أرسل القائد داود بن إسماعيل في ألف من مقاتلي الجزيرة، وفيهم بعض الأتراك فأحاطوا بهم ورماهم الأتراك فقتلهم، على حين يذكر الطبري في حوادث عام ١٦٢هـ/٧٧٨م أن الخليفة المهدي وجه القائد شبيب بن واج بألف فارس، ودفع لكل فارس ألف درهم زيادة في العطاء فقتله شبيب في قنسرين.

٢- خوارج أرمينية وأذربيجان:

كان مسافر بن كثير القصاب السباني مسيطراً على أرمينية وأذربيجان وممثلاً للضحاك بن قيس الشيباني، زعيم الخوارج في أواخر عهد الأمويين، وفي بداية عهد أبي العباس عين محمد بن صول والياً على الإقليمين، ومعه قوة عسكرية، واستطاع أيضاً من تجنيد أعداد كبيرة من الأذربيجانيين، مما اضطر

مسافر إلى التحصن بقلعة الكلاب، فحاصره الوالي، حتى استطاع قتله، وقتل الكثير من أتباعه، وهرب الباقيون إلى جبال سجستان.

٣- خوارج عُمان:

أما في عمان فالمعروف أن المذهب الخارجي انتشر في عدة مناطق في الخليج العربي وتمركز بصورة خاصة بالمذهب الأباضي الخارجي في عُمان وحضرموت، وهناك رواية تشير إلى أن أبا عبدة مسلم بن أبي كريمة التميمي كان حامل لواء العلم للمذهب الأباضي وفقهه ثم حمل لواء هذا المذهب في عُمان الربيع بن حبيب الفراهيدي، وبذلك أصبحت منطقة عُمان تدين لهذا المذهب.

ولما آل الأمر للعباسيين عين أبو العباس والياً على عُمان هو جناح بن عبادة بن قيس الهنائي، وبقي فيها مدة ثم عزله وعين ابنه محمد الهنائي خلفاً له، ففي عهده تمكن الخوارج الأباضية بزعامة الجلندي بن مسعود من السيطرة على البلاد، وصارت الولاية لهم بعد مبايعتهم بالإمامة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.

وتجدر الإشارة إلى أن الجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي، كان أباضياً، وهو أحد بني الجلندي بن المستكبر بن سعود ابن الجرار بن عز ابن معولة بن شمس، ملوك عُمان بعد أولاد مالك بن فهم، وكان الجلندي في جيش طالب الحق، فلما قتل جاء إلى عُمان فبايعوه فيها، وكان ذلك سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وكانت إمامه سنتين وشهراً.

لقد تحرك الخوارج الإباضية في عُمان وعلى رأسهم الجلندي بن مسعود، فأرسل الخليفة أبو العباس حملة عسكرية سنة ١٣٤هـ/٧٥٢م بقيادة خازم بن خزيمة التميمي لإعادة السيطرة على البلاد، وتشير غالبية المصادر إلى أن

ترشيح خازم بن خزيمة لقيادة الحملة ضد الخوارج في عُمان كان الغرض منه التخلص من خازم لقتله أخوال الخليفة أبي العباس وذلك أثناء تتبعه لبسام بن إبراهيم وجماعته، وبناءً على مشورة ونصيحة موسى بن كعب وأبي الجهم بن عطية للخليفة أبي العباس، بأن له طاعة وسابقة في الدعوة، عدل الخليفة أبو العباس عن قتل خازم واستجاب لمشاورة الذين أشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج أي الجلندي وأصحابه، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان الذين كانوا مع شيبان عبد العزيز اليشكري.

فجهز أبو العباس خازم بسبعمئة رجل، وقد أعد سليمان بن علي الوالي على البصرة بأمر الخليفة أبي العباس السفن لحمل خازم التميمي وأتباعه إلى جزيرة ابن كاوان، ولما وصل خازم بن خزيمة أرسى السفن في جزيرة ابن كاوان ثم أرسل قوة مكونة من خمسمئة رجل بقيادة نظلة بن نعيم النهشلي لمقاتلة الخوارج الصفرية، وعلى رأسهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري فاستطاع نظلة أن يدحر شيبان اليشكري الذي لم يتمكن من المقاومة والصمود أمام القوة العباسية فانسحب هو وأتباعه إلى ساحل عُمان، وفي هذه المنطقة اشتبك الأباضية والصفرية الذين لم يستطيعوا الاتفاق على مجابهة العباسيين في معركة حاسمة انتهت بانتصار الخوارج الأباضية، إذ تمكن الجلندي بن مسعود من قتل شيبان اليشكري والعديد من أتباعه.

أما بالنسبة لخازم بن خزيمة التميمي فقد تحرك مع جيشه بطريق البر ونزل على ساحل عُمان، وفي أول الأمر طلب خازم من الجلندي أن يعترف بالخلافة العباسية وسيطرته وشأنه فامتنع الجلندي ووقعت الحرب، وهذا ربما يدل على أن خازماً أدرك نوايا الخلافة العباسية للتخلص منه بإرساله إلى عُمان فحاول أخذ السم والطاعة من الأباضية دون قتال، أو يدل على أن الجيش

العباسي جاء ليقاثل الخوارج الصفرية بالدرجة الأولى وليس الأباضية، وأن العباسيين كانوا يدركون اعتدال آراء الأباضية وتقاربها من مذهب جماعة المسلمين، ولذلك لم يشاؤوا محاربتهم بل طلبوا منهم مجرد الاعتراف بخلافة أبي العباس.

ونتيجة لرفض الجلندي وأصحابه الخضوع للخلافة العباسية، فقد جرت معركة شديدة بمنطقة جلفار على ضفة الخليج العربي الغربية، انتصر في بدايتها الأباضية وأكثروا القتل في الجند العباسي وكان فيمن قتل أخو القائد خازم بن خزيمة مسلم أخيه لأمه، وكان على طلائع الجند العباسي نظلة بن نعيم النهشلي مساعداً لخازم بن خزيمة في هذه الحملة، ويشير الطبري أن عدد قتلى الإباضية في هذه المعركة تسعمائة قتيل، وبعد أيام من هذه المعركة استعمل العباسيون أسلوباً جديداً في معاركهم للإباضية بعد أن استعصى عليهم الانتصار على الإباضية وذلك بإحراقهم بيوت الإباضية المصنوعة من الخشب والخلاف، بعد أن وضعوا على رؤوس الرماح المشاقة وهي مادة مصنوعة من الكتان والقطن والشعر المشبع بالنفط أضرموا فيها النار وحرقوا بها بيوت أصحاب الجلندي بن مسعود، ففقدوا توازنهم العسكري وأصبح شغلهم الشاغل في هذه الحالة إنقاذ بيوتهم وعوائلهم، فتمكن العباسيون من الانتصار عليهم بسهولة وقتل الجلندي بن مسعود وعدد كثير من أصحابه، وبعث خازم برؤوسهم عن طريق البصرة إلى أبي العباس، وقد رجعت القوة العباسية وعلى رأسها خازم التميمي بعد أن أقامت عدة أشهر في عمان وبعد أن أزالَت الإمامة الأباضية من عُمان سنة ١٣٤هـ/٧٥١م، وبذلك خضعت عُمان رسمياً للدولة العباسية ولكن اسماً.

٤. خوارج إيران:

شهدت إيران بعض حركات الخوارج ففي فارس أعلن مهلهل الحروي حركته أثناء حكم والي العباسي إسماعيل بن علي، الذي سار إليه بقواته فقتله بعد معركة قصيرة وأسر قسماً من أتباعه.

وفي سجستان أعلن هناوي السري حركته عام ١٤١هـ/٧٥٨م في فترة حكم واليها العباسي زهير الأزدي، والتحق بصفوف الخوارج الكثير من الأتباع لكنها لم تستمر طويلاً، حيث أخمدت في السنة نفسها، وقد ساد المنطقة الكثير من الاضطرابات لذلك عين الخليفة المنصور معن بن زائدة الشيباني والياً على سجستان عام ١٥١هـ/٧٦٧م، فتمكن من فرض الأمن والنظام. وفي عام ١٦١هـ/٧٧٦م قام يوسف بن إبراهيم البرم بحركة في خراسان معلناً معارضته للحكم العباسي تحت شعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" معلناً إنكاره لسيرة الخليفة المهدي والعباسيين، وقد أيدته عناصر كثيرة متذمرة من سياسة المهدي أيضاً، أما الخليفة فقد اضطر إلى سحب قوات عسكرية بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني الذي كان في مواجهة حركة خارجية بقيادة يحيى الشاري، وأمره الخليفة بالتوجه إلى يوسف البرم، فكانت بينهما وقعات أسر على إثرها يوسف البرم وبعض من قواته وأرسل إلى المهدي وحين وصولهم إلى النهران ركبوا على جمال ووجههم إلى الوراء تحقيراً لهم، ثم قتلوا وذلك بعد أن كلم الخليفة بكلام غليظ.

٥. خوارج شمال إفريقية:

أعلن والي الأموي على إفريقية عبد الرحمن فهري ولاءه للدولة العباسية الجديدة طيلة خلافة أبي العباس، ثم أقره الخليفة المنصور على الولاية،

